طائفة أرباب الخبرة المعمارية بمصر المملوكية والعثمانية
دراسة وثائقية•

حظيت مصر في عهد دولة المماليك (٦٤٨- ٩٢٣هـ /١٢٥٠- ١٥١٧م) بمركز الصدارة بين دول الشرق والغرب، نظراً لما تتمتع به من موقع ممتاز تفردت به بين أقطار الأرض، فهي ملتقى قارتين من أكبر قارات العالم القديم، هما أفريقيا وآسيا، كما أنها تواجه قارة أوربا الواقعة إلى الشمال منها وهذا يوضح كيف أن مصر كانت حلقة الاتصال بين دول الشرق والغرب والشمال والجنوب. وليس بخاف علينا أن موقع مصر هو الذي أتاح لها ومنحها تلك المكانة، كما أنه هيأ في نفس الوقت لتجارتها أن تتسع وتنشط وتزدهر، ولحضارتها ومدنيتها أن تنتشر.(١)

وقد كان للظروف التي أحاطت بنشأة دولة المماليك، والأحداث الحربية التي واكبت مولدها الأثر المباشر في تمتعها بمكانة خاصة في العالم الإسلامي، وإضفاء طابع خاص عليها، حيث استطاع المماليك بفضل شجاعتهم، ونظامهم الحربي الفريد أن يحققوا انتصارات وأمجاد عسكرية ضخمة على القوى التي هاجمت العالم الإسلامي آنذاك وهددت كيانه. وكان في مقدمة هذه الأخطار الخطر المغولي القادم من الشرق الأدنى والذي نجح في الاستيلاء على العراق والقضاء على الخلافة العباسية ٦٥٦هـ /١٢٥٨م . يضاف إلى ذلك الخطر الصليبي الذي كان قد نجح هو الآخر من قبل في السيطرة على بلاد الشام ولم تزل بقاياه موجودة به، فضلاً عن الخطر الذي هدد كيان دولة المماليك الناشئة من الداخل والمتمثل في الخطر النوبي جنوباً، والتركماني شمالاً، وفوق ذلك كانت أحوال المسلمين في الأندلس أسوأ من أحوال أهل المشرق. ومن هنا اتجهت أنظار المسلمين في المشرق والمغرب نحو مصر المملوكية، وتعلقت قلوبهم بها وبسلاطينها الذين كانوا – كما صورهم المؤرخون – في صوره دائبة الحركة والنشاط.(١)

ومما يؤكد ذلك أن المماليك نجحوا في أولى خطواتهم حين وحدوا جهودهم، وجمعوا كلمتهم، وجهزوا قواتهم، وخرجوا لملاقاة المغول فهزموهم في عين جالوت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، وتلك كانت أول مكرمة لهم، ويحمد لدولة المماليك وسلاطينها أيضاً نجاحهم في خطوتهم الثانية حين أحيوا الخلافة العباسية بالقاهرة، فحافظوا على هذا الرمز الإسلامي.(٢) ومنذ ذلك الحين انتقلت زعامة العالم الإسلامي إلى مصر، وصارت القاهرة مقراً للخلفاء العباسيين الذين فوضوا سلاطين المماليك في حكم مصر فضلاً عما يفتحونه من الأقطار،(٣) وتلك مكرمة ثانية لدولة المماليك وسلاطينها الذين أضفوا الشريعة على حكمهم من خلال تفويض الخلفاء العباسيين لهم. وتمثلت المكرمة الثالثة لتلك الدولة في نجاح سلاطينها في طرد بقايا الصليبيين من بلاد الشام، بل أنهم لم يكتفوا بذلك، وإنما طردوهم من بقية قواعدهم بالشرق الأدنى في أرمنيا وفى قبرس ورودس.(٤)

• د.عوض امام.

(١) د/ إبراهيم حسن سعد ، البحرية في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، ١٩٨٢م ، ص١٩.

(٢) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، مكتبة النهضة المصرية ، سلسلة الألف كتاب ، رقم ٢٢٧ ، ص١-٢

(٣) يعود فضل إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة للسلطان الظاهر بيبرس البندقدارى ٦٥٩هـ / ١٢٦١م .

(٤) د/ حسن الباشا ، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ، ط . أولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، مج ١- صـ ٣٤ ؛ د/ عاصم محمد رزق ، دراسات في العمارة الإسلامية مجموعة ابن مزهر المعمارية بالقاهرة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩م دراسة أثرية معمارية ، هيئة الآثار المصرية ١٩٩٥ صـ ١٥.

(٥) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عدد ٢٠٧ ، ٢٠٠١ ، ص١٤ – ١٥.

ومما لا شك فيه أن آثار كل تلك الأحداث الجسيمة قد انعكست على مصر وعلى دولة المماليك فجعلتها بمثابة القلب النابض في جسد عالمنا الإسلامي، وعظمت مكانتها بين دولة، وصارت لها الصدارة بينهم، وانتعشت أحوالها الاقتصادية، وازدهرت فنونها وصناعتها على أيدي أبنائها وصناعها، وعلى أيدي إخوانهم من الصناع الوافدين إليها من شرق العالم الإسلامي فراراً من الخطر المغولي. وكان لهؤلاء الصناع والفنانين فضلهم ومساهماتهم في النهضة الفنية والصناعية، فأنتجوا مع صناع مصر ما تفخر به دولة المماليك، وما تقر به أعين الزائرين للمتاحف العالمية المختلفة.(٥)
وكما تقدمت الصناعة والفنون في عهد الدولة المملوكية، فقد بلغت العمارة في عهدهم أوج عظمتها وتطورها ، نتيجة لإقبال السلاطين والأمراء ومختلف طبقات الشعب على بناء وتشييد العمائر المختلفة.(٦) وليس من شك في أن الثروة المالية التي توفرت بأيدي حكام مصر وأمرائها كانت وراء تحقيق ثورة عمرانية ومعمارية بمصر المملوكية نلحظها فيما شيدوه بداخل مدينة القاهرة الفاطمية وخارجها بالصحراء بل وفى غالبية أرجاء مصر ثم أن العمائر التي شيدها المماليك خارج مصر سواء بالشام أم بلاد الحجاز كانت خير شاهد على النشاط المعماري في عصرهم وفى ذات الوقت كانت خير شاهد على همة ونشاط طائفة المعماريين في عهدهم بل إن في التنوع المعماري الذي نلحظه في عمائر المماليك دلالة على نبوغ معمارييها واتقاد فكر مصمميها وعبقريتهم وهمة بناءيها، وعلو شأن منشئيها سواء كانوا من السلاطين والأمراء أم من التجار والأفراد.(٧)
وجدير بالذكر أن الاجتياح المغولي لبلاد الشرق الإسلامي تسبب في قطع طرق التجارة العالمية بها سواء البحرية منها أم البرية والتي كانت تربط جميعها بين بلاد الشرق والغرب، وخاصة طريق الخليج العربي وأعالي الفرات وآسيا الصغرى، وطريق فارس وشمال العراق وأعالي الشام فالبحر الأسود ومنه إلى أوروبا. ومن ثم لم يعد آمناً من طرق التجارة العالمية في تلك المنطقة سوى طريق البحر الأحمر ومصر.(٨)

---

(٦) د/ حسن الباشا وآخرون – القاهرة تاريخها فنونها آثارها – القاهرة – ١٩٧٠م – صـــ١٣٠ – د/ صبحي لبيب – سياسة مصر التجارية في عصر الأيوبيين والمماليك – المجلة التاريخية– ١٩٨١ – ١٩٨٢ – مج٢٨،٢٩،صـــ١٢٨ – د/ عاصم محمد رزق – المرجع السابق – صـــ١٦.

Mahmod Abdel Wahab, Marble paving in Mamluk Cairo, M.A Thesies, The American University, 1998, P. 6- 7.

(٧) تحتفظ مدينة القاهرة بنحو ٢٣٣ أثراً مملوكياً، ولولا عوامل الهدم والتخريب التي حدثت في العهود التالية لوصل إلينا أضعاف هذا العدد. للمزيد انظر: فهرس الآثار الإسلامية بخريطة مدينة القاهرة مقياس ١:٥٠٠٠، د/ أبو الحمد فرغلى، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، الدار المصرية اللبنانية– ط. أولى ١٤١١هـ/١٩٩١، د/ حسنى نويصر، العمارة الإسلامية في مصر في عصر الأيوبيين والمماليك ،مكتبة زهراء الشرق– ١٩٩٦م ؛ د/ جاب الله على جاب الله دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة الإصدار الأول – المجلس الأعلى للآثار – ٢٠٠٠م – صـــ١٧ .

Doris Behrens Abouseif - Islamic Architecture in Cairo an introduction - The American University in Cairo - 1989-p.p - 94 -155 – Richard B.Parker- Robin Sabin - Cavoline Williams - Islamic monuments in Cairo - Apractical guide - The American University- 1985.

(٨) د/ محمد مصطفى نجيب – مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها دراسة أثرية معمارية – دكتوراه – القاهرة ١٩٧٥م – صـــ٤٠١؛ حسن عبد الوهاب – تاريخ المساجد الأثرية – الدار العربية للكتاب – ط. الثانية – القاهرة ١٩٩٣ ، حـــ١ ، ص٢٧٥.

(٩) تمثلت أهم الطرق التجارية البحرية في طريقين ، أحدهما تحمل فيه البضائع عبر المحيط الهندي ومنه إلى الخليج العربي، ثم عبر نهري دجله والفرات تصل البضائع إلى البحر الأسود ومنه إلى أوروبا، أما الطريق الآخر فكانت البضائع تأتى من بلاد جنوب شرق آسيا عبر المحيط الهندي وتصل في البحر الأحمر حتى السويس، وتنقل برياً إلى القاهرة . أما أهم الطرق التجارية البرية فطريق بخاري إلى بحر قزوين مروراً بتبريز ثم يعبر آسيا الصغرى إلى البحر الأسود واستنبول . وهناك طريق آخر من بخاري أيضاً إلى شمال بحر قزوين عبر وادي الفولجا ومنه إلى سواحل البحر الأسود الشمالية فأوروبا. وقد كثر استعمال هذا الطريق خلال القرنين ١٣– ١٤ م. وهناك طريق برى ثالث يتجه من

وقد استفاد المماليك من الموقع الجغرافي الهام لمصر ومن الفرصة التي واتتهم وجعلت مصر هي الطريق الوحيد الآمن للتجارة العالمية، فاهتموا بمواني مصر وأمنوا الطرق التجارية بكل السبل، فانعكس اثر ذلك على تجارتهم التي ازدهرت، ووصلت إلى مصر بضائع الشرق والغرب وعن طريقها وصلت هذه السلع إلى أوربا أو العكس.(٩) ونتيجة لهذا الآمر ولسياسة سلاطين المماليك تضخمت الثروات المالية بأيديهم، وعاشوا في رفاهية وترف وخلدوا ذكراهم بما شيدوه من عمائر ملأت أرجاء مدينة القاهرة عاصمة إمبراطوريتهم ، فضلاً عن عمائرهم بمدن مصر الأخرى، وبالبلاد التي ضمتها إمبراطوريتهم في الشام وشبه الجزيرة العربية وبرقة وبلاد النوبة.(١٠) وكما ذكر آنفاً فقد أنعكس هذا الأمر على نشاط أرباب الخبرة المعمارية في مصر إبان العصر المملوكي.

هذا عن حال مصر في العصر المملوكي، أما عن حالها حينما دخلها العثمانيون وقضوا على الدولة المملوكية ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وفقدت مصر استقلالها، وأصبحت ولاية عثمانية بعد أن كانت قاعدة ملك و أساس إمبراطورية المماليك وانقسمت عرى الوحدة التي كانت قائمة بين مصر والشام، وسقطت تبعية الحجاز لمصر، وانتقل مركز الخلافة الإسلامية من مصر إلى استنبول وخسرت زعامتها للعالم الإسلامي ولم يهتم العثمانيون بإظهار الطابع العثماني في مصر، أو بمعنى أصح لم يحاولوا عثمنة الشعب المصري.(١١) كما أنهم لم يقضوا تماماً على قوة المماليك بل أن السلطان سليم قد أبقى وهو في القاهرة على البقية الباقية من المماليك،واصدر أوامر مشددة بعدم التعرض لهم أو لممتلكاتهم واستمرار صرف مرتباتهم كما جرت العادة ثم إنه اصدر عفواً عنهم لأنه أراد الاحتفاظ بهم كعنصر ذي خبره هامة بشئون الإدارة يساعد الإدارة العثمانية الجديدة. وتنفيذاً لهذه السياسة عين بعض أمراء المماليك في بعض المناصب الإدارية الهامة.(١٢) وعلى أية حال فقد تميز المجتمع المصري على عهد العثمانيين ، بأنه مجتمع طبقي يتكون من طبقتين، أولاهما طبقة الحكام وتشمل الحامية العثمانية والمماليك، وثانيتهما طبقة المحكومين وتشمل العلماء والتجار وأرباب الحرف

بخاري عبر إيران ووادي دجله والفرات ومنه إلى سواحل البحر المتوسط. للمزيد انظر : د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، صـــ٢٠٨. ونفس المؤلف – الظاهر بيبرس – صـــ١٦ ؛ د/ إبراهيم حسن سعيد ، المرجع السابق ، صـــ ١٩– ٢١ ، صـــ ١٩٩.

(١٠) د/ إبراهيم على طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، مكتبة النهضة المصرية ، سلسلة الألف كتاب ، كتاب رقم ٢٧٩ ، صـــ٢٧٧– ٢٨١؛ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق – صـــ١.

(١١) مما يدل على الرواج التجاري والازدهار الاقتصادي في عصر دولة المماليك كثرة المنشآت التجارية بمصر مثل الفنادق والقياسر والخانات والوكالات . للمزيد انظر: د/ آمال احمد العمرى – المنشآت التجارية في مصرفي العصر المملوكي – دكتوراه – القاهرة – ١٩٧٤م ؛ د/ محمد أمين – فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٨٠م؛ احمد محمود عبد الوهاب المصري ، العمائر في وثائق الغورى الجديدة بوزارة الأوقاف ، ماجستير ، آداب سوهاج ، ١٩٨١م ؛ عوض الإمام – الأصول الوثائقية للوثيقة الجامعة لأوقاف السلطان الغورى – دكتوراه – آداب سوهاج – ١٩٨٨م.

(١٢) دكتور فرغلى على تسن ، تاريخ مصر الحديث ، دار الوفاء بالإسكندرية ، ٢٠٠١م– صـــ٢٤.

(١٣) د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، الإدارة في مصرفي العصر العثماني ، القاهرة ١٩٧٨م ، صـــ٢٩ ؛ ميكل ونتر ، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني ، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم ، مراجعة د/ عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م– ص،ـــ٤٥– ٤٦ ، صـــ ٩٨وما بعدها وقد شكل المماليك في مصر العثمانية طبقة عسكرية ممتازة شاركت العثمانيين في السيطرة على الشعب المصري وقد عينهم العثمانيون في كشوفيات الأقاليم ، كما اسند إليهم مراقبة نظام الري بمصر وحينما اصدر السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠– ١٥٦٦م) قانون نامة مصر عام ١٥٢٥م استبقى الأمراء المماليك في الإدارة واقرهم في إدارة الأقاليم في الوجهين البحري والقبلي. للمزيد انظر: د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، المجتمع المصري في العصر العثماني ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط. أولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، صـــ ٢٠/١٩ ، حاشية ٩ .

والصناعات والفلاحين والعامة وأهل الذمة.[١٣] وعلى ذلك رأى بعض الباحثين أن النفوذ العثماني بمصر كان مقتصراً على الشعار والخطبة والسكة، بينما كان للمماليك مشيخة البلد والكشوفية والالتزام،أي أن لهم المشاركة الفعالة في إدارة البلاد.[١٤]

ورغم تدهور الاقتصاد المصري في معظم فترات الحكم العثماني، فقد وصلتنا منه عمائر متنوعة تشهد بالدور الذي قامت به طائفة أرباب الخبرة المعمارية في مجال البناء والتشييد.[١٥] وتتميز غالبة تخطيطات هذه العمائر بأنها تتبع الطراز المحلى الذي كان منتشراً في العصر المملوكي. وقد كان لأرباب الخبرة المعمارية ولطوائف الحرف المتعلقة بالبناء وفنونه أثر كبير في استمرار هذا الطراز حيث أنها لم تتخل عن مصريتها وطابعها المعماري الموروث، وصمدت في كثير من الأوقات أمام الطراز العثماني الوافد ، ولم تنفذ منه إلا القليل من العمائر.[١٦] وعلى الرغم من كثرة المنشآت المعمارية التي شيدت بمصر في العصريين المملوكي والعثماني، إلا أننا لم نقف إلا النذر اليسير من أسماء أرباب الخبرة المعمارية سواء من المهندسين الذين صمموا هذه العمائر أو مشدي العمائر الذين تولوا الإشراف على تنفيذها، أم من البناءين والنجارين والمرخمين والحجاريين وغيرهم من أرباب الطائفة. وقد حاولت بعض الدراسات العلمية الحديثة معالجة هذا القصور ولكنها كانت تتحدث عن مهندسي مصر الإسلامية بصفة عامة،[١٧] كما أن الأسماء التي ألقت الضوء عليها كانت قليلة جداً ولا تتجاوز أصابع اليدين.[١٨] والاهم من ذلك أن تلك الدراسات لم تحدثنا عن طائفة أرباب الخبرة المعمارية وطبيعة عمل كل فرد فيها.[١٩]

---

(١٤) د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، المرجع السابق ، صـــ١٥ .

(١٥) ابن زنبل الرمال ، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغورى مع السلطان سليم ، تحقيق عبد المنعم عامر ، تقديم د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، صـــ ٦٥.

(١٦) تحتفظ مدينة القاهرة بنحو ٣٠٧ آثرا معمارياً عثمانياً ، للمزيد انظر: دليل الآثار الإسلامية لمدينة القاهرة ؛ د/ سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٨٣م ، صـــ ٥ ؛ دانيال كريسيلوس ، فهرس وقفيات العصر العثماني المحفوظة بوزارة الأوقاف القومية بالقاهرة ١٩٩٢م ؛ د/ محمد حمزة الحداد ، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد على (٩٢٣ – ١٢٦٥هـــ/ ١٥١٧-١٨٤٨م) ، مكتبة الزهراء الشرق ١٩٩٨م ، صـــ٦١- ٦٦.

(١٧) د/ محمد حمزة الحداد، المرجع السابق ، صـــ٦٢-٦٣.

(١٨) من هذه الدراسات: احمد تيمور باشا ، أعلام المهندسين في الإسلام ، دار الآفاق العربية- ط. أولى ٢٠٠١م ؛ حسن عبد الوهاب، الرسومات الهندسية ، مجلة المجمع العلمي المصري ١٩٥٧م ؛ د/ محمد عبد الستار عثمان ، أضواء على المعمار الإسلامي ، مجلة الفيصل ، عدد ٩٠- ١٩٨٤م ، د/ عبد الرحمن ذكى ؛ تراث القاهرة العلمي والفني ، القاهرة ١٩٦٩م ؛ د/ عوض الإمام ، المعمار الإسلامي في مصر من الفتح العربي وحتى نهاية الدولة المملوكية ، ماجستير ، آداب سوهاج ١٩٨٤م ؛ د / ليلى عبد اللطيف احمد ، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني ، الخانجي بمصر ١٩٨٠م ، " طوائف الحرف في مصر أبان العصر العثماني" – صـــ٥٧ – ١١٠ ؛ د/ حسين مصطفى رمضان ، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مصر الإسلامية ، دكتوراه ، القاهرة ١٩٨٧؛ د/ عبد الرحمن النفيسة – مسئوليه المهندسين والبناءين ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، عدد ٢٢، ربيع الأول ، ١٤١٥هـــ – ص ص ١٧٨/٢٢٧ ؛

Nelly Hanna, Construction Work in Ottoman Cairo, Le Cairo, 1984.

(١٩) يكفى أن نشير هنا إلى أننا اطلعنا على وثيقة واحدة من عصر السلطان الغورى ورد بها توقيع ثمانية عشر مهندساً وهى الوثيقة رقم ٤٢٥ جـــ/ أوقاف انظر للوحة (٣) من هذا البحث.

(٢٠) عالجت بعض الدراسات التي أشرت إليها في الحاشية (١٨) نظام الطوائف بمصر الإسلامية من حيث النشأة والتكوين ودورها بصفة عامة – ولكنها لم تسلط الضوء على طائفة أرباب الخبرة المعمارية التي هي محل دراستنا الآن، ومن هذه الدراسات ما كتبته كل من د/ ليلى عبد اللطيف احمد ؛ ود/ حسين مصطفى رمضان ، والدكتورة نيلي حنا المشار إلى دراسة كل منهم بالحاشية (١٨ من هذا البحث) .

وبناء على ذلك كان هدف هذا البحث هو إلقاء الضوء على طائفة أرباب الخبرة المعمارية وتكوينها والقاب أعضائها وطبيعة عملهم، إضافة إلى ذكر أسماء العديد من المهندسين التي استقينا بعضها من المصادر التاريخية، وبعضها الآخر – وهو أكثرها –استقيناه ووقفنا عليه مما اطلعنا عليه في وثائق العصرين المملوكي والعثماني . ومما تجب الإشارة إليه أن وثائق هذين العصرين وإن كانت قد أمدتنا بأسماء مهندسين وبنائين ونجارين وغيرهم، إلا أنها لم تبصرنا بالأعمال المعمارية التي صمموها ونفذوها.

وفى ضوء ما سبق فأن الدراسة في هذا البحث ستنتظم في ثلاثة محاور هي :

أولاً : – نظام الطوائف في مصر الإسلامية من حيث النشأة والتنظيم الداخلي لكل طائفة.

ثانياً: – طائفة أرباب الخبرة المعمارية بمصر المملوكية والعثمانية.... أعضاؤها وألقابهم وطبيعة عملهم.

ثالثاً: – قائمة بأسماء مهندسي مصر في العصريين المملوكي والعثماني.

أولاً : نظام الطوائف في مصر الإسلامية

تميز المجتمع المصري في العصرين المملوكي والعثماني بأنه مجتمع طبقي ،أخذت طبقاته شكلا هرميا ،كانت طبقة الحكام على قمته ،تليها طبقة أهل المراتب أو المعممين (أهل العمامة) وهم أرباب الوظائف الديوانية من الفقهاء والعلماء والكتاب والتجار،أي أنهم من كبار رجال الدولة .ثم تأتى طبقة أرباب الحرف والصناعات على اختلاف أنواعها من بنائين ونجارين وحدادين ونساجين وغيرهم . وأخيراً تأتى طبقة الفلاحين والأعراب و أهل الذمة [٢٠]

وجدير بالذكر أن المصادر التاريخية أطلقت على أهل الحرف وأربابها عدة مسميات منها "الأصناف" و"أصحاب المهن " و"أهل الصنائع:"[٢١] وأطلقت عليهم أيضاً مسمى "الحرف" و"المتسببون"و"أهل المهن" و"الطوائف"أو " طوائف الكار أو المهنة".[٢٢] وكانت العلاقة بين أفراد كل حرفة أو صنعة أو طائفة قوية ومتينة،فهم أكثر ترابطاً وتعاوناً فيما بينهم ، ويكرم بعضهم بعضاً بدافع ذلك الرابط ٠ وقد أنعكس أثر هذه العلاقة في أقوالهم المأثورة،مثل قولهم إن:"الصناعة نسب".[٢٣] وكان أهل كل حرفة أو طائفة يكونون هيئة أو منظمة مستقلة ذات تنظيم خاص وكيان معين له قوانينه الخاصة التي تحدد العلاقة داخلياً بين أعضائها فيما بينهم، وخارجياً بينهم وبين السلطة الحاكمة. وكان لكل طائفة دستورها غير المكتوب من عادات وتقاليد مورثة،[٢٤] ولهذا اتفق الباحثون على وجود "عرف خاص" بين أهل كل طائفة ، ينظم أمورهم، ويحتكمون إليه في حل المشاكل التي قد تقع فيما بينهم أو بينهم

(٢١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، صـــ٢٠٧ ؛ د/ حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة ، دار المعارف ١٩٨٠م، ص ٢٣- ٢٤ ؛ د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، المرجع السابق ، ص ١٥.

(٢٢) د/ عبد العزيز الدوري ، نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد الأول يونيو ١٩٥٩ م ، ص ١٤١- ١٤٢ ؛ د/ حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة ٦٥-١٩٦٦م ، جـــ١ ، صـــ٣٠.

(٢٣) د/ السيد طه أبو سديرة ، الحرف والصناعة في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩١ م ، ص٣٨٢؛ ميكل ونتر ، المرجع السابق ، ص٣٥٩؛ د/ سعاد ماهر ، الخزف التركي ، الجهاز المركزي للكتاب الجامعي ١٩٧٧م ص٢٩؛ شربل داغر ، الفن الإسلامي في المصادر العربية صناعة الزينة والجمال ، الكويت ط .أولى ١٩٩٩م ، صـــ٣١ ؛ د/ حسين مصطفى رمضان ، المرجع السابق ، صـــ ٦-٨.

(٢٤) د/ عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٤١ ، شربل داغر ، المرجع السابق ، –صـــ١٦.

(٢٥) د/ ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ، صـــ ٥٨، وللمزيد عن تعريف الطائفة راجع : د/ حسين مصطفى رمضان، المرجع السابق ، صـــ ٢-٤.

وبين الآخرين، بدليل ما ذكره وكيع عن "قوم من الغزالين اختصموا إلى شيخ فقالوا له: سنتنا بيننا كذا وكذا . فقال لهم : سنتكم بينكم"(٢٥) وفى هذا ما يؤكد أن كل طائفة قد صاغت لنفسها قانوناً يحتكم إليه أعضاؤها كما أنها وضعت ضوابط على سلوك أفرادها، وكان كل فرد يلتزم بهذه الضوابط،(٢٦) وجدير بالذكر أن مصر قد عرفت مثل هذه التنظيمات قبل الفتح العربي لها، إذ تشير المصادر إلى انتظام سائر أرباب الحرف والصناعات في شكل نقابات منذ العصر الروماني والبيزنطي، وعرفوا بأصحاب الحرف والصنائع. وكانت الدولة الحاكمة – الرومانية أو البيزنطية –تستفيد من هذه التنظيمات في جمع الضرائب.(٢٧) ومهما يكن من شئ فقد ظلت هذه التنظيمات قائمة بمصر بعد الفتح العربي الإسلامي لها.(٢٨) ويرى ماسينيون أن هذه التنظيمات المهنية قد تطورت على يد القرامطة والفاطميين .(٢٩) في حين ترى د/ ليلى عبد اللطيف أحمد، أن نشأة هذه التجمعات أو الطوائف إنما يرجع إلى القرن ٣هـ /٩م ، وأن ظهورها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة القرامطة.(٣٠) وقد استمر نظام طوائف الحرف بمصر وظهر بشكل بارز في العهد الأيوبي، ثم أخذ صفة الثبات والاستقرار في العهد المملوكي،(٣١) واستمر هذا النظام في العصر العثماني وتعددت طوائفه حتى بلغت ما يقرب من واحد وسبعين طائفة، وإن كان هناك من يرى أن عدد هذه الطوائف بمصر في القرن ١٧م ٢٤٠أو ٣٠٠ طائفة.(٣٢)

وفى ضوء ما سبق يتضح أن الباحثين متفقون فيما بينهم على أن مصر الإسلامية عرفت التنظيمات الخاصة بأرباب الحرف والصنائع ، ولكنهم مختلفون في تسميتهم لهذه التنظيمات، فمنهم من يطلق عليها مسمى "الأصناف" ،(٣٣) ومنهم من يسميها "النقابات" ،(٣٤) ومنهم من يعرفها باسم "الطوائف"

(٢٦) د/ عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص١٤١.

(٢٧) نيلي حنا ، تجارة القاهرة في العصر العثماني سيرة أبو طاقية شاه بندر التجار ، ترجمة وتقديم د/ رؤوف عباس ، الدار المصرية اللبنانية ، ط .أولى ١٩٩٧م ، صـ٥٩.

(٢٨) د/ السيد طه أبو سديرة ، المرجع السابق ، صـ ٣٨١– ٣٨٢ . وجدير بالذكر أن مصطلح نقابة حديث يطلق على التنظيمات التي تضم أصحاب الحرفة أو المهنة الواحدة بهدف المحافظة على حقوقهم وحمايتهم من أصحاب العمل، ويرى بعض الباحثين أن النقابات وتنظيماتها قد ظهرت منذ العصر الكلاسيكي ببلاد الإغريق، وعرفها القانون الآثينى تعريفا يتفق إلى حد كبير مع المفهوم السائد بيننا الآن. وفى أعقاب ظهور الإسكندر الأكبر انتشر إنشاء هذه المنظمات ، وحينما جاء الرومان قننوا مفهوم تلك المنظمات، وحددوا أهدافها وطبيعتها، وأخضعوها لإشراف الدولة ومراقبتها، وكان لكل نقابة نقش خاص بها يتضمن موافقة الإمبراطور على إنشائها يذكر فيه تاريخ الإنشاء والتشكيل . ويرى بعض الباحثين أن فارقاً كبيراً بين النقابة بمفهومها الحالي وبين مفهومها في المجتمعات القديمة من حيث أن الأولى تدافع عن حقوق أعضائها وتحميهم من أصحاب العمل أو رأس المال، د/ حسين محمد أحمد يوسف، النقابات في مصر الرومانية دراسة وثائقية ، سلسلة تاريخ المصريين ١٩٩٨م، صـ١١-١٢ ، صـ٢١- ٢٩ ؛ د/ حسين رمضان – المرجع السابق ، صـ٨ ؛ د/ ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ، صـ ٥٨.

(٢٩) د/ عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ؛ برنارد لويس ، النقابات الإسلامية ، ترجمة د/ عبد العزيز الدوري ، مجلة الرسالة ، عدد ٣٥٥ ، صـ٦٩٦؛ د/ عوض الإمام ، مرجع سابق ، صـ ٢٤٦– ٢٤٨.

(٣٠) ما سينيون ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة "صنف" ، مج ١٤ ، صـ ٣٥٤– ٣٥٦ ؛ د/ حسين مصطفى رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٢٠ – ٢١.

(٣١) د/ ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ، صـ ٥٩.

(٣٢) د/ السيد الباز العرينى ، مصر في عهد الأيوبيين ، القاهرة١٩٦٠ م– صـ ٢٠٠؛ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، صـ ٢٠٧.

(٣٣) د/ ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ، صـ ٦٠ وهى ترى أن عدد الطوائف بمصر يزيد عن الرقم المذكور ؛ ميكل ونتر ، المرجع السابق ، صـ ٣٦٣.

Robert Irwin, Islamie Art, Laurence King, 1997, p .138.

(٣٤) د/ عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق.

.[٣٥] ومن الثابت أن الباحثين قد استقوا هذه المسميات مما ورد عن هذه التنظيمات في المصادر التاريخية، وإن كنا نلاحظ أن مصطلح "الطوائف" كان أكثر ذيوعاً وانتشاراً في العصر المملوكي والعثماني، ولذلك آثرنا استخدامه.

التنظيم الداخلي للطائفة :- (أ) شيخ الطائفة.

تتميز طوائف مصر الإسلامية بحسن تنظيمها الداخلي ودقته، وهو تنظيم هرمي ،يأتي على قمته رئيس أو كبير الطائفة لقبته المصادر التاريخية بـــ "شيخ الطائفة "أو" شيخ الصنعة أو الحرفة " أو شيخ الصنف وهو أكبر أعضاء الطائفة ومديرها ،وهو أعظمهم مكانة ومقاماً وأكثرهم إلماماً بدقائق الصنعة وخباياها ".[٣٦]

. ويتمتع شيخ الطائفة إضافة لما سبق بقوة الشخصية، فجميع أفراد طائفته يهابونه وفى ذات الوقت يطيعونه ويحترمونه لأنه بمثابة الأب للجميع. ومن هنا كان سلطانه على أفراد طائفته أقوى من سلطان الدولة. وقد ساعده هذا الأمر في فض المنازعات التي قد تنشب بين أفراد طائفته وساعده أيضاً في معاقبة المخالفين منهم وفى إقرار النظام داخل الطائفة.[٣٧] وكان يتم تعيين شيوخ بعض الطوائف كالأطباء والكحالين والجرائحية ومن جرى مجراهم من أرباب الوظائف التي هي من تتمة نظام الملك من قبل السلطان المملوكي بتوقيع يصدر لهم من ديوان الإنشاء،[٣٨] أما في العصر العثماني فالثابت من المصادر والوثائق أن أعضاء كل طائفة كانوا يختارون شيخهم ثم يذهبون إلى المحكمة الشرعية لتنصيبه في حفل أمام القاضي يحلف خلاله الشيخ اليمين، ويبدأ بعد ذلك في ممارسة سلطاته . وكان من حق أعضاء الطائفة أيضاً عزل شيخهم وإقالته والتصدى له إذا ثبت لهم عكس ما توسموه فيه من صفات، وتعدت تصرفاته الحدود المرسومة له،[٣٩] وهنا يطلق عليه" شيخ متنزه"أي انه خارج الخدمة . أما إذا ظل يقوم بالعمل فيقال له "شيخ عامل" . ورغم أن الأصل في تنصيب شيخ الطائفة هو الاختيار من قبل أعضائها وليس وراثته ، إلا أن الواقع أثبت توارث المشيخة فى أسرات معينة واحتكارها لهذا المنصب . [٤٠] واختصاصات شيخ الطائفة ومهامه عديدة

(٣٥) برنارد لويس ، المرجع السابق.

(٣٦) د/ السيد طه أبو سديرة ، المرجع السابق ؛ د/ حسين مصطفى رمضان ، المرجع السابق ؛ د/ ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ؛ ميكل ونتر ، المرجع السابق ؛ د/ عبد الحميد حامد سليمان ، تاريخ الموانى المصرية في العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصرين ٨٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م- صـــ ١٦٠- ١٦١ ؛ د/ فرغلى على تسن ، تاريخ مصر الحديث ، دار الوفاء بالإسكندرية ٢٠٠١م- صـــ ٧٥.

Nelly Hanna O.P cit, Robert Irwin, OP. Cit.

(٣٧) ابن حجر العسقلانى ، الدر الكامنة في أعيان المائة الثمانية ، دار صادر بيروت ، د.ت - ج١ ، صـــ ٧٥- ترجمة ٢٠٠؛محكمة رشيد ، وثيقة مؤرخة في ١٧ جمادى الآخر ١١٣٥هـــ ، محكمة الباب العالي ، وثيقة مؤرخة في ٢٤ صفر ١١٩٩هـــ ؛ د/ عبد العزيز الدوري ، مرجع سابق ، صـــ ١٤٦- ١٤٧؛ حسن الباشا ، مرجع سابق مج١ ، صـــ ٣٧ ؛ ميكل ونتر ، المرجع السابق ، صـــ ٣٦٧.

(٣٨) د/ حسين رمضان ، مرجع سابق ، صـــ ٨٠- ٨١ ؛ د/ ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ، صـــ ٦٣ ؛ د/ عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، صـــ ١٤١؛ د/سعاد ماهر ، المرجع السابق ، صـــ ٢٩، أحمد محمود دقماق ، مساجد الإسكندرية الباقية عمراني القرنين ١٢، ١٣-هـــ ، آثار القاهرة ١٩٩٤م ،صـــ ٢٣٢- ٢٣٣.

(٣٩) القلقشندى "أبو العباس احمد ابن على ، ت ٨٢١- هـــ/ ١٤١٨م ، صبح الأعشى عمراني صناعة الإنشاء نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ، سلسلة تراثنا - د.ت - حـــ٩ ، صـــ٢٥٩.

(٤٠) الباب الصبي ، سجل ١٢٢، مادة ١٧٣٧، صـــ ٣٠٧؛ محكمة المنصورة ، سجل ٢ ، صـــ٢٩ ، مؤرخ عمراني ٢٨ صفر ١١٥٦هـــ ؛ د/ ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق - صـــ ٦٦ ، ٧٠.Nelly Hanna, Op .Cit, 59- 60

(٤١) د/ حسين رمضان ، المرجع السابق ، صـــ٨٦؛ د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، المرجع السابق ، ٦٦، ٧٠؛ د/ فرغلى على تسن ، المرجع السابق ، صـــ٧٥، ٧٦.

، فهو إضافة إلى ما سبق ذكره ، كان حلقة اتصال أو همزة الوصل بين أبناء طائفته وبين السلطة الحاكمة ، كما أنه المسئول عن توزيع الضرائب على أعضاء طائفته وجمعها منهم وتسليمها إلى السلطة الحاكمة . ويقوم شيخ الطائفة كذلك بالتصديق على قبول الأعضاء الجدد بالطائفة، وهو الذي يصدق على ترقية أحد أعضائها،[٤١]

ب: النقيب:-

يقوم شيخ كل طائفة باختيار وكيل له كان يلقب بـــ " نقيب الطائفة" أحيانا كان يلقب بالنقيب الكبير والنقيب هو أهم مساعدي شيخ الطائفة فكان يحضر معه الاجتماعات الرسمية التي تتم في المحاكم الشرعية ونظراً لأهمية منصب نقيب الطائفة فقد شبهه البعض بربان السفينة الذي أن صلح صلحت الطائفة وإن فسد فسدت ؛ ولذلك كان على من يتولى منصب النقيب أن يجتهد في طلب العلم لأسرار الصنعة ودقائقها،[٤٢].

جـ: المعلمون والأسطوات:-

هم كبار رجال الصنعة فى الطائفة، وهم المحنكون والأكثر دراية بأسرارها ويتم على أيديهم تعليم وتدريب الصبية فنون الصنعة ودقائقها.

د: الصبية أو المتدربون:-

وهم الراغبون فى تعلم حرفة معينة ويكون ذلك على يد اسطى أو معلم يلازمونه فى العمل صباحاً ومساءاً حتى يتقنوا أسرار الحرفة وفنونها فتتم ترقيتهم فى حفل بهيج . ومن هنا يمكن القول بأن الطوائف كانت بمثابة مدارس فنية يتلقى فيها الصبية تدريبهم على أصول الحرفة أو الصنعة وأسرارها حتى يصبحوا صناعاً مهرة،[٤٣] ويذكر أنه لم يكن يسمح لمثل هؤلاء بمزاولة حرفتهم أو فتح حوانيت أو ورش صغيرة إلا إذا اختبرهم الشيخ فى حفل يحضره أعضاء الطائفة يعرف "بحفل الشد"، وإذا اجتاز الصبي الاختبار أجازه الشيخ ومنحه لقب "معلم"[٤٤] . ويذكر أن لكل طائفة مجلس خاص يتكون من الشيخ والنقيب ومساعديه وهما البيشرويش الصغير والنقيب الوسطانى أو النقيب الثاني، إضافة للكاتب الذي يساعد الشيخ فى الأعمال الإدارية والمنادى الذي يقوم بدور المراسلة بين الشيخ وأفراد الطائفة. وكان شيخ الطائفة يستدعى هذا المجلس فى حالة انضمام عضو جديد للطائفة والحكم على نوعية ما ينتجه أو فى حالة ترقية أحد أعضاء الطائفة، فضلاً عن إصدار التصاريح أو الإذن بفتح محل أو ورشة لأحد الأعضاء ، وكان هذا المجلس أيضاً يساعد شيخ الطائفة فى الإدارة وفى معاملاته مع الحكومة.[٤٥]

ومما تجب الإشارة إليه أن الطوائف كانت تشارك الشعب فى الاحتفالات العامة كرؤية هلال رمضان، وعيد وفاء النيل، والاحتفال برحيل المحمل أو بمولد بعض الأولياء والمشايخ ، كما كانت

(٤٢) د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، المرجع السابق ، صـــ ٦٥؛ د/ حسين رمضان ، المرجع السابق ، صـــ ٧٥ وما بعدها ؛ د/ عبد الحميد حامد سليمان ، المرجع السابق ، صـــ١٦٠ ، ١٦١

(٤٣) د/ حسين رمضان ، المرجع السابق ، صـــ ٧٦ ، ٧٨ ؛ د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، المرجع السابق ، صـــ ٧٠؛ د/ فرغلى على تسن ، المرجع السابق ، صـــ ٣٩٠،٤٠٠.

(٤٤) د/ سيد طه أبو سيديرة ، المرجع السابق ، صـــ ٣٩٠- ٤٠٠.

(٤٥) عن حفل الشد وما يتم فيه راجع د/ حسين مصطفى رمضان، المرجع السابق ، صـــ٧٧؛ د/ ليلى عبد اللطيف احمد ، المرجع السابق ، صـــ٧٨،٨٠ .

(٤٦) د/ حسين مصطفى أحمد ، المرجع السابق ، صـــ ٧٥.

تشارك أيضا في الاحتفال بعودة السلطان من الحج أو بعودته منتصراً فى إحدى حروبه . وكان لكل طائفة من هذه الطوائف رموزها وراياتها التي تميزها عن الطوائف الأخرى في تلك الاحتفالات،[٤٦] وحين كانت تقع بعض المظالم على أهل الطوائف كانوا يخرجون فى جماعات متجهين إلى القلعة رافعين راياتهم ونسخ من القرآن الكريم لإظهار تظلمهم من الضرائب الجديدة أو من تغير نظام العملة،[٤٧]

وقد ساعد نظام الطوائف الحرفية وتقاليدها الثابتة على إتقان الصنائع وجودتها وهذا يوضح الدور الهام الذي قامت به طوائف مصر الإسلامية حيال مجتمعها وكيف أنها كانت سبباً فى ازدهار حرفة وصنائعه وفنونه المختلفة . ويرى بعض الباحثين أن السبب فى ازدهار الطوائف راجع لاهتمام المسلمين عامة وحكامهم خاصة إما بتأسيس مدن جديدة وإما بالتوسع العمراني في المدن القائمة،[٤٨] وما يستتبعه ذلك من تخطيط عمراني لتلك الضواحي المستحدثة أو الارباض إضافة إلى تصميم عمائرها وبنائها ومن هنا زاد الطلب على أرباب الحرف وخاصة طائفة المعمارية والحرف المساعدة لها فى عمليات البناء والتشييد ولذلك انتعشت أحوال رجالها.

ومما تجب ملاحظته أن كثيراً من رجال الطوائف كانوا ينتسبون إلى الحرف التي يمارسونها فيشتهرون بها كالمهندس والبناء والنجار والمرخم والطحان والزيات.........الخ. وقد أكدت المصادر التاريخية و اوراق البردي العربية ووثائق العصرين المملوكي والعثماني هذا الأمر.[٤٩]

ثانياً: طائفة أرباب الخبرة المعمارية ..أعضاؤها...ألقابهم ..طبيعة عملهم

أطلقت الوثائق المملوكية على طائفة المعماريين مسمى "أرباب الخبرة المعمارية".[٥٠] وخصت المهندسين بالذكر تحديداً من بين أفرادها. أما وثائق العصر العثماني فقد أطلقت عليهم مسمى "طائفة البنائين والمهندسين" أو "طائفة المعمارجية" ،[٥١] أو "طائفة المهندسين أو المعماريين" أو "طائفة المعماريين".[٥٢]

والتكوين أو التنظيم الداخلي لطائفة المعماريين يتخذ شكلاً هرمياً يأتى شيخ الطائفة على قمته، فى حين يشكل النقباء وبقية الأعضاء جسم الهرم وقاعدته. وسنعرض فى السطور الآتية بعض المعلومات عن شيخ هذه الطائفة وألقابه وطبيعة عمله، كما نعرض لأبرز أعضاء هذه الطائفة وألقابهم وطبيعة عملهم وذلك فى ضوء ما توفر لدينا من النصوص التاريخية والوثائقية.

أ – كبير المهندسين أو المعمار باشا ألقابه وطبيعة عمله:-

(٤٧) ميكل ونتر ، المرجع السابق ، صـــ٣٦٥؛ د/ حسين مصطفى رمضان ، المرجع السابق، صـــ١١٧.

(٤٨) ميكل ونتر ، المرجع السابق ، صـــ ٣٦٣.

(٤٩) د/ السيد طه أبو سديره ، المرجع السابق ، صـــ٣٦٣.

(٥٠) ابن حجر العسقلانى ، المصدر السابق ، جــ١ ، صـــ ٩٥ ترجمة ٧٣١، صـــ ٢٤١، ترجمة ٦١٧؛ وانظر أي الوثائق ٢٤ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٦٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٥٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٩ ، ٥٨٥ جديد / أوقاف .

(٥١) انظر الوثائق : ٢٤، ٦٠، ٩٩،١٠٠، ١٢٠، ١٣٦، ١٤٢، ٣١٨، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٦٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٥، ٤٦٢، ٤٦٧، ٥٤١، ٥٤٩، ٥٨٥،/ جديد أوقاف.

(٥٢) انظر الوثائق السابقة الإشارة إليها عمراني الحاشية السابقة ؛ محكمة الإسكندرية ، سجل ٥٨–؛ مادة رقم ٢٣٣، صـــ ١٨٧؛ محكمة رشيد الوثيقة المؤرخة عمراني ٢٧ جمادى الآخر ١١٣٥هـــ .انظر اللوحة (٥)

(53) Nelly Hanna, OP. CIT, P 9.

كان يرأس طائفة المعمارية في العصر المملوكي شيخ لقب بـــ" كبير المعمارية" و"معلم المعمارية"،[٥٣] ولقب أيضا بـــ" معلم المعلمين"[٥٤] ، و"كبير المهندسين أو البنائين" [٥٥] أو "رئيس المهندسين"[٥٦].

أما وثائق العصر العثماني فأطلقت على كبير طائفة المعماريين لقب " شيخ المهندسين بمصر" أو " شيخ طائفة المهندسين بمصر" .[٥٧] ولقبته بعض الوثائق أيضاً بلقب "شيخ طائفة المهندسين والبناءين"[٥٨]، في حين لقبته وثائق أخرى بلقب "معمارجى باشا"أو " معمار باشا"[٥٩] . و مكانة المعمار باشا تشبه أو تعادل مكانة "كبير المعلمين" أو " رئيس المهندسين" أو" رئيس المعمارية"فى مصر المملوكية،[٦٠]

والمعمار باشا هو المسئول عن طائفة المعمارية وهو رئيسها، وهو وإن تشابه مع كبير المعلمين فى العصر المملوكي من حيث وضعه على قمة هرم الطائفة وتوليه رئاستها إلا أنه يختلف عنه من حيث المكانة الاجتماعية، فكبير المعلمين فى العصر المملوكي كان ذا مكانة عالية لدى السلطان ؛ لانه هو الذي يشرف على بناء عمائره ، بل أن السلطان برقوق لم يجد غضاضة فى مصاهرة كبير مهندسيه احمد بن الطولونى، فتزوج بابنته، فنال بذلك السعادة وارتفعت مكانته عن ذي قبل.[٦١] و على

(٥٤) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، تحقيق د/ محمد كمال الدين عز الدين عالم الكتب ، ط.أولى ١٩٩٠م– حـــ٢ ، صـــ٣٩٠، ٤٢٧.

(٥٥) على بن داود الجوهري الشيء ، إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق د/ حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٠م ، صـــ ١٦٤ ،٥١٩ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، حـــ ٣، صـــ ٤٤، صـــ ١٤٨؛ حسن عبد الوهاب ، الرسومات الهندسية ، صـــ ٨؛ د/ عوض الإمام ، المعمار الإسلامي شعري مصر ، صـــ ٥٦، ٥٨– ٦١، ٦٣– ٨٠، ١١٤؛ د/ سعيد مغاورى محمد – الألقاب وأسماء الحرف والوظائف فى ضوء البرديات العربية – دار الكتاب المصرية – ٢٠٠٠م – مج ١ صـــ ٧٨٤، ٧٨٥.

(٥٦) د/ محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية الباقية بمدينة القاهرة ، دار الوفاء بالإسكندرية ٢٠٠٠م، صـــ ٢٤٦.

(٥٧) المقريزى ، الخطط، طبعة التحرير ، د.ت ، حـــ٢ ، صـــ ٣٤٩.

(٥٨) د/ حسن الباشا ، الموسوعة ، مج ١ ، صـــ ٣٧، ٣٨؛ محكمة الإسكندرية ، سجل ٥٨ ، مادة رقم ٢٣٣، صـــ ١٨٧؛ محكمة رشيد ، سجل مؤرخ بعام ١١٨٨هـــ ، مادة رقم ١٣٩، صـــ ١٢٦،١٢٤، مادة رقم ٢٠٢، صـــ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٥٩) محكمة رشيد ، سجل ٢١، مادة رقم ٦١ ، صـــ ١٩، والوثيقة مؤرخة فى ٢٤شعبان ١٠٠٣هـــ ، نفس السجل ، مادة ٤٤٧، صـــ١٣٩، ١٤٠، وهى مؤرخة فى ٢١ شوال ١٠٠٣هـــ ، نفس المحكمة ، سجل مؤرخ بعام ١١٠٦هـــ ، مادة رقم ١٤٤، صـــ ١١٠، مادة ١٦٦، صـــ ١٢٦ ، مادة رقم ٣٧٧، صـــ ٢٥٥– ٢٥٦ ؛ نفس المحكمة ، سجل مؤرخ بعام ١١١٨هـــ ، مادة ١٢٠ ، صـــ ١٠٢ ، مادة رقم ١٣٤ ، صـــ١١٧، ١١٨، مادة رقم ١٣٨ ، صـــ ١٢٢، ١٢٣.

(٦٠) محكمة دمياط ، سجل ٢٢١، ٣٠، صـــ ٢٦ ، الوثيقة مؤرخة فى ١٨ ختامي الحجة ١١٥٢هـــ ؛ د/ محمد شفيق غربال ، مصر عند مفترق طرق ، مجلة كلية آداب القاهرة ، ١٩٣٦م ، مج ٤ ، حـــ ١ ، صـــ ١٩ ، حاشـــية ١ ؛ د/ صلاح أحمد هريدى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة رشيد فى العصر العالي ، مجلـــة الجمعيـــة التاريخيـــة المصرية ٨٣، ١٩٨٤م ، مج ٣٠، ٣١ ، صـــ٣٥١، ويذكر سيادته أمر لفظة " باشا " ومنه " باشى" البردي معناها رأس ، وفى الاستعمال تكتب "باشى" أو " باشا" وعلى ذلك فالمعمارجى باشى تعنى كبير المعمرجية أو رئيسهم .وللمزيد انظر د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـــ ٣ ، صـــ ١١٥٧هـــ ، ١١٦٢ ؛ احمد دقماق ، المرجع الســـابق ، ص ٢٣٥ ، ويقول بعض الباحثين أمر هذا اللقب أطلق على سنان باشا عام ١٥٣٨م – واصبح رئيس معمـــاري الـــبلاط . انظـــر:
Robert Irwin , Islamic Art , P.142
(61) Nelly Hanna, OP. Cit, p.8.

(٦٢) ابن تغرى بردى ، الدليل الشافى على المنهل الصافى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الخانجى، طبعة جامعة أم القرى ، د.ت ، جـــ١ ، صـــ ١٠٠، ١٠١، ترجمة رقم ٣٤٨.

الجانب الآخر فإن المعمار باشا فى الفترة العثمانية كان موظفاً حكومياً بسيطاً، ويبدو انه فى كثير من الحالات لم تكن لديه مهارات خاصة بشأن أعمال البناء أو العمارة.[٦٢] وعلى أية حال فقد كان كبير المهندسين أو معلم المعمارية في العصر المملوكي يتولى الأشراف على العمائر السلطانية ، ولذلك كان يتم تعينه من قبل السلطان وقد أكدت المصادر التاريخية هذا الأمر حين ذكرت أن وظيفة "كبير المعمارية" ظلت شاغرة بعد وفاة بدر الدين ابن الكويز ٨٨٥هـ، وان السلطان قايتباى اصدر مرسوماً بلا خلعة للأمير تغرى بردى الأستادار ليتول هذه الوظيفة ثم استقر رأى السلطان على تعين البدرى حسن بن الطولونى وخلع عليه بهذه الوظيفة.[٦٣] ولئن كانت الوثائق والمصادر التاريخية المملوكية لم تذكر شيئاً عن طبيعة عمل كبير المهندسين، إلا أن الوثائق العثمانية أفاضت بعض الشيء فنية هذا الجانب، فوردت بها معلومات على جانب كبير من الأهمية أمكننا من خلالها الوقوف على أن المعمار باشا كان هو المسئول عن طائفة المعمارية التي تتدرج تحت لوائها اثنا عشر حرفة من حرف البناء،[٦٤] وعلمنا من الوثائق أيضا أن أعضاء طائفة المعمارية كانوا يختارون المعمار باشا لصفاته الحسنة؛ ولذلك كانوا يذهبون للقاضى يسألونه تنصيبه شيخا عليهم شريطة أن يحترم القواعد والقوانين والسنن القديمة للطائفة .وكان القاضي يجيبهم إلي طلبهم . وبما أن أعضاء الطائفة لهم الحق فى اختيار المعمار باشا فإن لهم أيضاً حق عزله وتنصيب غيره فى حالة مخالفته لما هو منوط به،[٦٥] يؤكد ذلك ما حدث في ١٣ محرم ١٠٥٢هـ حين تضرر المعلم أبو النصر عمر بن محمد الشهير بالدويك شيخ طائفة الدهانين من خضوعهم لإشراف "معمار باشى" المتفرقة الأمير يوسف وقدموا تظلماً بهذا الشأن للقاضى. وحينما مثل المعمار باشى أمام القاضي أخبره بأمر التظلم وما يحويه من شكاية الدهانين من خضوعهم له، فما كان منه إلا أن قدم للقاضى وثيقة صادرة من الباب العالي مؤرخة فنية ١٧ محرم ١٠٣٧هـ تثبت خضوع كل أرباب الصنائع العاملة فى مجال البناء له مثل المبيضين والجيارين والنجارين والجباسين والحجارين والنحاتين والدهانين، ومن ثم حكم القاضي باستمرار خضوع أرباب تلك الحرف لإشراف المعمار باشى.[٦٦] فامتثل المعلم أبو النصر عمر بن محمد شيخ طائفة الدهانين ومن حضر معه من الدهانين بما جاء فى الوثيقة وقرروا عدم الخروج عن طاعة المعمار باشى. ونفهم من هذا أن المعمار باشى كان له حق الأشراف على العديد من أرباب حرف البناء، وانه كان يستصدر وثيقة من القاضي تعطيه هذا الحق. ونستخلص من الوثيقة أيضاً أن القاضي لم يستجب لشكاية شيخ الدهانين لأنها لم تتضمن طعناً فى شخص المعمار باشى مقروناً بدليل عليه ،أو تتضمن سوء سلوكه مع أفراد الطائفة، ومن هنا كان حكم القاضي مؤيداً للحكم السابق و الذي يعطى للمعمار باشى حق الأشراف على طائفة الدهانين وغيرها من الطوائف الأخرى. واخيراً نستخلص من نص الوثيقة أيضاً أن طائفة المعمارجية كانت تضم بين جنباتها عدة طوائف أخرى، تختص كل طائفة منهم بحرفة معينة كالجيارين والجباسين والحجارين وغيرهم، و كان لكل طائفة منهم شيخها الذي يرأس أمرها ويخضع هو وأفراد طائفته للإشراف المباشر من قبل المعمار باشى.

وعلمنا من الوثائق أيضاً أن القاضي كان يستعين برأي المعمار باشى فى القضايا التي تعرض عليه، والخاصة بالمشاكل المعمارية أو المتصلة بها. فتذكر إحدى الوثائق أن الخواجا إبراهيم الشهير نسبه

---

(63)- Nelly Hanna, Op, Cit, P.8.

(٦٤) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور عمراني مدى الأيام والشهور، حـ٢ ، صـ ٣٩٠، ٤٢٧.

(٦٥) ميكل ونتر ، المرجع السابق، صـ٣٦٦، Nelly Hanna, OP, Cit, P 7.

(٦٦) الباب الصبي ، سجل ١٢٢، مادة ١٧٣٧، صـ٣٠٧، Nelly Hanna, OP, Cit, P 8- 9.

(٦٧) الباب الصبي الوثيقة المشار إليها فى الحاشية السابقة.

بالمنصور أحد تجار القاهرة حين اكتشف رداءة دهان سقف جامعه الكائن بخط زربية بشتاك الناصري بمصر القديمة، تقدم بشكواه من هذا الأمر إلى القاضي الحنفي محمد النورى، فأحال القاضي أمر هذه الشكوى إلى المعمار باشى للمعاينة وإبداء الرأي. وبالفعل توجه معمار باشى إلى الجامع المذكور وبصحبته شيخ طائفة الدهانين ونقيبهم، ولفيف من أرباب الصنعة. وبفحص هذه اللجنة لدهان سقف الجامع ثبت صحة ما جاء بالشكوى، فكتب المعمار باشى محضر كشف وقدمه إلى القاضي في يوم ٨ شوال ١٠٢١ هـ أكد فيه عدم دقة صنعة دهان سقف الجامع .وبموجب ذلك أصبح الأمر بين يدي القاضي ليحكم بما يراه منصفا للحق ومناسبا له.(٦٧) وجاء فى وثيقة أخرى أن الشهابي احمد مستحفظان والناصري محمد مستحفظان رفعا شكوى لقاضى القضاة يتضرران فيها من جارهم الشيخ احمد الخضيرى لانه قام بتعمير مكان مجاور لبنائهم وخرج عليهم وارتفع ببنائه عنهم وفتح طاقات تطل على بنائهم رغم انه ليس له حق فى ذلك. وهنا أحال قاضى القضاة أمر هذه الشكوى للأمير أيوب اغا معمار باشى للمعاينة والفحص والوقوف على حقيقة الأمر. وبالفعل توجه الأمير أيوب ومعه جماعة من المهندسين إلى المكان وفحصوه فثبت لديهم وقوع ضرر الكشف على الشاكيين، وكتب معمار باشى راية للقاضى بضرورة سد تلك الطاقات وإلزام الشيخ أحمد الخضيرى بفعل ذلك وتحرر محضر كشف بهذا الخصوص مؤرخ فى ١٠ صفر ١٠٨٨هـ(٦٨)

وتقول إحدى وثائق محكمة دمياط أن ناظر وقف جامع سيدي عثمان الجوربجى الواقع برأس سوق الحصريين يطلب من القاضي معاينة مطهرة الجامع لإجراء الترميمات اللازمة لها. وبالفعل كلف القاضي المعلم عبده بن المرحوم الحاج مصطفى المعروف بأبن نشارة معمار باشى بالثغر المذكور، بمعاينة المطهرة . و توجه ابن نشارة للجامع وبصحبته جماعة من المسلمين من أهل الخط. وثبت من المعاينة أن " فسقية الجامع المذكور وبابها ومجازها ومجرات خارجها وحايطى طهارة الجامع المذكور القبلية والغربية وواجهة الجامع القبلية وعصايب خلاوى الجامع المذكور كل ذلك متخرب محتاج إلى العمارة والمرمة وهذا ما أظهره الكشف ودلّ عليه العيان .....بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١١٥٢هـ"(٦٩)

وألقت وثيقة أخرى من ذات المحكمة الضوء على الجانب الأخر من طبيعة عمل المعمار باشى حين ذكرت أن عمر بن المرحوم الشهابي احمد النقرزان ــــ الناظر الشرعي على المكان الجاري فنية وقف والده الكائن بسوق المزر تجاه حمام القاضي بثغر دمياط ــــــ ، قد قام بعمل ترميمات فنية وقف والده، وأنه صرف على ذلك فنية ثمن طوب وجير وجبس ورماد وقصرمل وبلاط وسدد وأخشاب ومسمار حديد وفى أجرة بنايين وفعلاً وسقايين وشياليين وحمارة ونجارين ونشارين وغير ذلك من الأجر والمون والكلف مبلغ قدره من الأنصاف العددية الديوانية تسعة آلاف، بلغ ثمن الطوب والجير والجبس والرماد والقصرمل والبلاط والسدد وأجرة البنايين والفعلا والسقايين والحمارة أربعة

---

(٦٨) محكمة مصر القديمة ، سجل ٥٨ ، مادة٢٢٧٦، ص، ٥٩٤، ٥٩٥.

أما محضر الكشف والفحص فيشتمل على المعاينة البردي يقوم بها المهندسون لمكان ما ومشاهدته على الطبيعة وفحصه بناء على تكليف من العثماني الحنفي يريد أمر يتحقق من صحة ما جاء عمراني شكوى صاحب وقف أو مستحقي ريعه إلى ناظره وللمزيد عن ذلك انظر : د/ عوض الإمام ، الأصول الوثائقية للوثيقة الجامعة لأوقاف السلطان الغورى ، دكتوراة ، آداب سوهاج ١٩٨٨م. ، صــ٨ انظر اللوحة ٨.

(٦٩) محكمة الباب الصبي، سجل ١٦٢ ، مادة ١٢١٣ ، ص ٢٨٢. وجاء بالوثيقة أن الأمير أيوب اغا معمار باشا اصطحب معه فخر النواب مولانا على أفندي كاشف الأوقاف بمصر المحروسة ، واصطحب معه أي جماعة من المهندسين هم المعلم محمد بن جانم والمعلم شحاته بن أبى النصر الطولونى والمعلم عبد الرحمن بن سليمان والمعلم شرابي والمعلم موسى بن عبد القادر.

(٧٠) محكمة دمياط ، سجل ٢٢ ، مادة رقم ٢٤١، صــ١٦٠.

آلاف نصف فضة . "وقد شهد على صرف ذلك المعلم المحترم عبده ابن المرحوم الحاج مصطفى المعروف بابن نشارة معمار باشى الثغر"(٧٠). ويفهم من ذلك أن المعمار باشى كان يشهد أمام القاضي على صحة ما يصرفه نظار الأوقاف من أموال لترميم وأعمار أماكن الوقف. وطبيعي أنه لن يتمكن من فعل ذلك إلا إذا كان ملماً بأسعار مواد البناء وعالماً بأجور أرباب الحرف المعمارية إضافة إلى حُسن تقديره لكميات المون المطلوبة لتلك المرمات ومناسبة المبلغ المنصرف للعمل الذي قام به ناظر الوقف.

ومن طبيعة عمل المعمار باشى أنه هو المسئول عن جميع أعمال البناء والتشييد وأنه حين يكلف من قبل الدولة بالإشراف على تشييد، فإنه كان يتعامل مع شيوخ الطوائف الأخرى مباشرة ويطلب منهم عدداً معيناً من العمال. وكان الشيوخ يذعنون لرغبته ويلبون طلبه، ويضعون العمال تحت تصرفه.(٧١) وكان بيت المال يقدم للمعمار باشى المال اللازم لذلك، فيقوم هو بدفع الأجور للعمال أو لشيوخهم. ويقوم المعمار باشى بعمل كشف حساب ختامي بعد إتمام البناء.(٧٢)

وأخيراً فإن المعمار باشى كان مسئولاً عن جمع الضرائب من أعضاء طائفته ومن أرباب الحرف الأخرى الخاضعة لإشرافه.(٧٣)

ب – المهندس وشاد العمائر وطبيعة عمل كل منهما:-

الهندسة هي علم المباني وبنائها واختلافها، والأراضي ومساحتها وشق الأنهار وتنقيتها، وإقامة الجسور وغير ذلك.(٧٤) وأطلق على من يشتغل بها ومن هو على دراية بها لقب "المهندس" وهو لقب دال على وظيفته،(٧٥) وأطلق على المهندس أيضا كلمة "معمار" وجدير بالذكر أن هذه الكلمة قد وردت على الآثار الإسلامية بدلالتين؛ إحداهما تطلق على المهندس أو البناء، والأخرى تطلق على من يتولى الإشراف على العمارة .(٧٦)وفى ضوء هذا التعريف يجب علينا التفريق بين المهندس المعمارى Architect وهو الذي يصمم المباني ويخططها،وبين المشرف على عمارة البناء Master Builder (٧٧).

وورد فى المصادر التاريخية ما يوضح ويؤكد الفرق والاختلاف بين هاتين الوظيفتين ،فيحدثنا الصيرفي أن السلطان قايتباى حينما أراد تعمير القناطر بالجيزة خوفاً من الفيضان، قبض على جمع كثير من الناس بلغ عددهم نحو "ألفى رجل خارج عن مماليك المقر الأشراف الأتابكى، وفيهم نحو مائتي معمار ومهندس".(٧٨) وقد أطلقت المصادر التاريخية على من يتولى الأشراف على العاملين بموقع البناء لقب "شاد العمارة"، وذكرت أن" من حقه اللطف والرفق بالبناءين، وألا يستعمل أحداً فوق

(٧١) محكمة دمياط ، سجل ٢٢١، مادة رقم ٣٠، صــ٢٦ . وهذا السجل مؤرخ من ١٩ ربيع الأول ١١٥٢هــ إلى ١٥ ربيع الأول من نفس العام.

(72) Nelly Hanna, OP. Cit, P.7.

(73) Nelly Hanna, OP. Cit, P.41.

(٧٤) ميكل ونتر ، المرجع السابق ، ص ٣٦٦.

(٧٥) د/ حسن الباشا، الوظائف والألقاب على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م ، حــ٣، ص ١١٥٧.

(٧٦) ابن خلدون ، المقدمة، ص ٥٤١.

(٧٧) د/ حسن الباشا، المرجع السابق ، ص ١١١.

(٧٨) د/ محمد عبد الستار عثمان ، أضواء على المعمار الإسلامي ، ص ١١١، هامش ٢. ويذكر د/ محمد حرب أن كلمة "معمار" تعنى في اللغة التركية المهندس المعماري وتعنى أيضاً البناء وأنها كلمة شائعة الاستعمال ، وللمزيد انظر: د. محمد حرب ، جهود المعمار سنان في مكة والمدينة، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة١٨، محرم – صفر – ربيع أول ١٤١٣هــ ؛ شربل داغر ، المرجع السابق ، ص ٤٤.؛ Robert Irwin , Op , Cit , P . 141

(٧٩) الشيء، إنباء الهصر بأبناء العصر، ص ٤٨٣.

طاقته، والا يجيعه، بل يمكنه من الأكل أو يطعمه بحسب ما يقع الشرط عليه". وذكرت المصادر أيضا أن على شاد العمارة أن " يطلق سراح البنائين أوقات الصلوات، لأنها لا تدخل تحت الإجارة ".(٧٩) والثابت تاريخياً أن هذه الشروط لم يراعها كل من شغل وظيفة شاد العمائر، بل وجد من خالفها رغم أن السبكى حذرهم وقال إن " ما يتعمده بعضهم من تسخير البنائين، وإجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم ، واستعمالهم فوق طاقتهم لهو من أقبح الحرمات، أشنع الجراءات على الله تعالى فى خلقه، واقبح من ذلك انهم يعتمدونهم فى بناء المساجد والمدارس!!! فليت شعري بأية قربة يتقربون".(٨٠)

وقد يقوم بعض المهندسين إضافة إلى عملهم بعمل شاد العمائر،(٨١) أي يصبح هو المهندس المعمارى مصمم المبنى، ويقوم فى نفس الوقت بالأشراف العام على العاملين فى بنائه. يؤكد ذلك ما ذكره ابن إياس عن تجديد عمارة قبة الأمام الشافعي بأمر السلطان قايتباى فى رمضان ٨٨٥هـ، وقال أن الشاد على عمارتها الخواجا شمس الدين بن الزمن.(٨٢)

وبخصوص المهندسين فقد ورد بالوثائق المملوكية والعثمانية أسماء لكثيرين منهم،(٨٣) وكان يطلق عليهم في بعض منها لقب " معلم " ، وإذا التحق أحدهم للعمل في العمائر السلطانية لقب من يشغل هذه الوظيفة بـ " مهندس بالخدمة الشريفة "(٨٤) [اللوحة رقم ١ ، ٢ ،٣] . وقد أفادتنا المصادر التاريخية والوثائق المملوكية والعثمانية في معرفة الأعمال التي كان يؤديها المهندس ، وخاصة تخطيطه للعمائر . والثابت أننا لم نحصل على رسم تخطيطي لأي من المنشآت المشيدة في مصر الإسلامية أو في غيرها على الرغم من كثرتها . ومن ثم حاول الباحثون إثبات هذا الأمر معتمدين على ما ورد بالمصادر التاريخية والوثائق ، فاستدلوا بما ذكر عن الأمير علم الدين الشجاعي أنه حينما بني دار السلطنة بالقلعة بدمشق عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩٠ م كان يتعجل الفراغ منها وكان يستحث العمال على سرعة نهوها ، لدرجة أنه حينما شرع في حفر اساسها شرع النجارون في عمل السقوف والنجارة . وطبيعي أنه ما كان يمكن للنجارين عمل تلك السقوف إلا إذا كان هناك رسم لدار

---

(٨٠) السبكى ، تاج الدين عبد الوهاب ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق وضبط وتعليق محمد على النجار وآخرون ، الخانجى بالقاهرة ، ط. الثالثة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٦م ، ص ١٢٩ ، وللمزيد عن وظيفة شاد العمائر انظر؛ د. حسن الباشا ،جـ ٢ ، ص ٦١٦ ، ٦١٨ المرجع السابق، د. عوض الأمام المعمار الإسلامي راية مصر .

(٨١) السبكى ، المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٨٢) د. فريد شافعي العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٠ م ، ص ٣٠٩.

(٨٣) ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣ م ، جـ٣، ص ١٧٠. وكان ابن الزمن هذا من أشهر المهندسين فى عصر السلطان قايتباى وقد كلفه بتنفيذ العديد من العمائر فى مصر وخارجها ، لعل من أشهرها بنائه لمدرسة مجاوره للحرم النبوي بالمدينة المنورة عام ٨٨٧هـ . انظر ، ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ٣، ص ١٤٤– ١٤٥. ومن وظائف الشاد البردي ذكرها ابن إياس " شاد الشون" و " مشد الطرق" انظر: المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٨٣. نفس الجزء ، ص ١٣٨،١٥٠ ، ١٦٩ ، ٢٧٧ ؛ الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ ، ٣٩٦ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٨٤) انظر قائمة أسماء المهندسين بهذا البحث.

(٨٤) انظر الوثائق ٧٧٣ ، ٤٢٥ جـ / أوقاف ، وثيقة خايربك ٢٥٦ / ٤٠ وثيقة السيفي مصرباي ؛ محكمة ٢٤٩ ؛ محكمة رشيد ، سجل ٨ مؤرخ في ٩٨٥ هـ ، مادة ٣٣٠ ، ص ٩٥ ، نفس المحكمة ، سجل ٤ المؤرخ في رجب ٩٩٤ هـ ، مادة رقم ٩٢١ ، ص ٢٤٨ – ٢٤٩ ، سجل ١٨ المؤرخ في ٩٩٩ هـ ، مادة ٢٩٧ ، ص ٨٣ – ٨٤ ، ٦١ ؛ سجل ٢١ المؤرخ في صفر ١٠٠٤ هـ ، مادة ١١٨٨ ، ص ٣٥٣ ، مادة ٦١ ، ص ١٩ ، مادة ٤٤٧ ، ص ١٣٩ – ١٤٠ ، نفس المحكمة ، سجل مؤرخ في ١١٨٨ هـ ، مادة ١٢٨ ، ص ١٠٨ ، ١١٢ ؛ عوض الإمام ، المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

السلطنة ، بل ورسومات لتفاصيلها (٨٥) . وأمدتنا الوثائق بدليل آخر على عمل رسومات للعمائر قبل تشييدها حين وصفت وثيقة الأمير قرقماس مكاناً بأنه " ..... يشتمل على واجهه دايرة مبنية / بالحجر الفص النحيت بها أربعة أبواب أحدها مربع / يدخل منه إلى حوش كشف سماوي كان يقصد أن يعمل طاحون ...) (٨٦) . ويفهم من النص أن المعمار كان يقوم بتصميم مبانيه ويعمل رسم تخطيطي لها قبل الشروع في تنفيذها . ولا يعقل أ ن يكون هذا الرسم أو التصميم مجرد رؤية ذهنية في عقلة ، بل لابد من رسم ذلك على الورق ليتم التنفيذ بموجبه. وقد يحدث أثناء التنفيذ أن يصرف المعمار نظره عن عمل بعض المرافق أو يلغيها مثلما جاء بنص وثيقة الأمير قرقماس – فيلغيها أو يغيرها طالما أن هذا الأمر لا يضر بالمنشأة معمارياً ولا يخل بوظيفتها . ويمكن أيضاً الاستدلال على عمل رسومات تخطيطية للعمائر من خلال تصويرها ورسومها التي نراها في صور المخطوطات(٨٧) .

يضاف إلى لك أن النظرة الفاحصة لتخطيطات المنشآت الباقية من العصرين المملوكي والعثماني بمدينة القاهرة وما بها من ازورارات وشطرات تؤكد أنه ما كان يمكن تنفيذ هذه العمائر لو لم تعمل لها رسومات هندسية ، خاصة وأن هذه الأزورارات ناتجة عن عدم انتظام المساحة التي ستبنى عليها المنشأة من ناحية ، وضرورة توفير مساحات منتظمة الشكل بالداخل من ناحية أخرى ، وهو ما نجح المهندسون في تحقيقه إما عن طريق تلك الازورارات أو زيادة سمك الجدران في قطاع من المنشأة وتقليله في قطاع آخر . وكل هذا يؤكد أنه لابد وأن تكون هذه المشكلات قد تم حلها على الورق في صورة تخطيطات هندسية قبل الشروع في تنفيذها بنائياً (٨٨). ومما يؤكد عمل رسوم تخطيطية للمنشآت المعمارية قبل التشييد أن الحفائر التي أجريت في أحد مباني البلاط الاليخاني يرجع إلى ١٢٥٧ م كشفت عن رسم معماري تخطيطي منفذ بالحز على طبقة من الجص ليسترشد بها العمال أثناء عملهم (٨٩) .

ومما سبق عرضة يمكن القول بأننا إذا كنا نفتقد الدليل المادي على وجود رسومات تخطيطية للعمائر المملوكية والعثمانية إلا أن الأدلة التي استقيناها من المصادر التاريخية ومن وثائق هذين العصرين تؤكد وجود تلك الرسومات من ناحية ، وتوضح جانباً من طبيعة عمل المهندس من جانب آخر . ولعل أهم الأعمال التي كان يقوم بها مهندسي مصر المملوكية والعثمانية تقديرهم لتكاليف الإنشاء

٨٦ – د / محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ص ٢٣٧ ، د/ عوض الإمام ، المعمار الإسلامي في مصر ، ص ٢٢٣ .

٨٦ – الوثيقة ٩٠١ / أوقاف ، ٤٢ ، سطر ٥ – ٧ . يذكر أنه ورد بالمصادر التاريخية معلومات تفيد عمل رسومات لبعض الأعمال المعمارية مثل تخطيط مدينة بغداد ، تخطيط الجامع الطولوني ، وتخطيط مدينة الإسكندرية للسلطان الغوري . للمزيد انظر : حسن عبد الوهاب الرسومات الهندسية ، ص ٨١ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ ، الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٧٥ ، د / محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، أضواء على المعمار الإسلامي د / فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣، ٣٠٥ .

٨٧ – د / أبو الحمد فرغلي ، التصوير الإسلامي نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩١ م ، ص ١٣٥ ، د / محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ – ١١٠

٨٨ – د / عوض الإمام ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤

90- Sheil , A.S Blair and Jonothan M.Bloom , The Art and Architecture of Islam 1250 – 1800 , Yale university press , New Haven and London , 1994 , P . 5 – 6 .

والتنفيذ للمباني المراد تشييدها [٩٠] ، كما كانوا يقومون بتقويم وتقدير ثمن بعض العقارات المراد بيعها أو استبدالها[٩١] .

وتكشف سجلات المحاكم الشرعية عن طبيعة عمل المهندسين من ناحية ، وعن طبيعة علاقتهم بالهيئة القضائية من ناحية ثانية ، فمثلاً حين اشتكى محمد بن نصوح للقاضي من تعدي عبد الغني الأصيل على وقف إبراهيم أبي إصبع ، فأحال القاضي الشكوى إلى المهندسين الذين توجهوا إلى المكان فثبت لهم أن الحاصل وقطعة الأرض المتنازع عليهما من جملة حقوق وقف أبي إصبع بدلالة " القمط والربط والأبنية متصلة ببعضها البعض في السفل والعلو ، وبناؤها القديم شاهد ودال على ذلك [٩٢] ..

وألقت بعض الوثائق الضوء على جانب آخر من طبيعة عمل المهندس، حيث ورد في إحداها أن صاحب منزل تقدم بالتماس إلى القاضي يرجو فيه السماح له ببناء غرفة ذات روشن فوق المنزل ، وأرفق مع الالتماس محضر كشف ومعاينة للمنزل مثبت فيه أنه ليس هناك ضرر من البناء فوقه [٩٣]

ومن الأعمال التي كان يقوم بها المهندسون معاينتهم للمباني القديمة وكتابة تقرير عن صلاحيتها من عدمه ، فمثلاً حين بلغ السلطان إينال أن " المئذنة القبلية لمدرسة السلطان حسن أشرفت على السقوط ، أمر – في يوم الأربعاء ٢٩ من ذي القعدة ٨٥٨ هـ – المهندسين بمعاينتها ، فطلع إليها جمع من مهندسي القاهرة فلم يجدوا شيئاً مما قبل [٩٤] كما كشفت المصادر عن دور المهندسين في عمل جسور على النيل أو بناء قناطر أو حفر خليج فكانوا يمسحون الشطوط بقصد اختيار أنسب الأماكن لذلك مثلما حدث عام ٧٢٥ هـ حين خرج الأمير سيف الدين أرغون نائب السلطنة ومعه جمع من المهندسين وأرباب الخبرة في مسح الشطوط لمسح شاطئ النيل لاختيار المكان الذي يبدأ منه حفر الخليج الناصري [٩٥] . وحدث في عام ٧٤٩ هـ أن خرج السلطان ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة وخبراء شطوط النيل لكشف المكان المناسب لبناء جسر يدفع الماء ناحية ساحل القاهرة [٩٦] . كما شارك المهندسون بأفكارهم ووسائلهم في نقل الأعمدة وأنقاض بعض المعابد الفرعونية عبر النيل إلى القاهرة ، مثلما حدث حين أراد السلطان الناصر محمد بن قلاوون استكمال بناء جامعة بالقلعة ، فأحضرت له أعمدة عظيمة من الأشمونين [٩٧]

---

٩٠ – المقريزي ، الخطط ، جـ ، ص ١٦٧ – ١٦٨ ، ابن تغرى بردي ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٧٦ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٦٠ – ٦١ ، ٢٤٠ . وورد بالمصادر ما يؤكد عمل مقايسات أولية وأخرى ختامية . تتضمن الأولى التكاليف المتوقع صرفها وتتضمن الثانية بياناً بما تم صرفه .

٩١ – كان المهندسون يكتبون رأيهم في محضر كشف أو فحص يثبتون فيه حالة المبني المراد استبداله والثمن المناسب له أو يكتبون رأيهم في هامش حجة البيع وهو ما يعرف بفصل القيمة . للمزيد أنظر الوثائق ١٩٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٦٩ ، ١٦٤ ، ٥٧٥ ، ١١٣ ، ٣٨٨ ، ١٧٩ ، ٣٧١ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ٤٣٠ ، ٤٢٥ ، ١١٦ ، ٤٠٧ ، ١٥١ ، ٧٤٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ ، ٨٩٣ ، ٣٧٣ ، ١٢٥ ، ١٩٥ ، ٣٦٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ٣٦٦ ، ٤٠٠ ، ٣٥٦ ، ١٩٣ ، ٥٢٨ ، ٧٥ ، ٤٥٢ ، ٣٧٤ ، ٣٩٤ ، ١٩٣ ، ٣٨٨ ، ٥٣٤ ، ٥٨٦ ، ٣٤١ ، ٢٤ ، ٥٤٥ جديد / أوقاف ، د / عوض الإمام الأصول الوثائقية .

٩٢ – محكمة الباب العالي ، سجل ١٤٤ ، مادة ٧٤٦ ، ص ٢٢٩ ، د / خالد عزب ، فقة العمارة الإسلامية ، دار النشر للجامعات ، مصر ١٩٩٧ م ، ص ٥١ .

٩٣ – محكمة مصر القديمة ، سجل ٩٣ ، مادة ٦٣٤ ، ص ١١٨ وهذه الوثيقة مؤرخة بعام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م .

٩٤ – ابن تغري بردي ، حوادث الدهور ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣ – ٥٠٤.

٩٥ – ابن تغري بردي ، النجوم ، ص ١٠ ، ص ١٣٠ .

٩٦ – المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، بشر د / محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧١ م ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٦١ – ٧٦٢ .

٩٧ – د / قاسم عبده قاسم ، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار المعرف ١٩٧٨ م ، ص ٨٣.

ومن الأعمال التي كان يقوم بها المهندسون في العصرين المملوكي والعثماني إشرافهم على بعض الأوقاف التي يرغب أصحابها فى ذلك نظير أجر محدد بكتاب الوقف (٩٨) . وأشارت الوثائق إلى فريق آخر من المهندسين تخصص في قياس الأراضي الزراعية وتقدير ثمنها (٩٩).

وفي سياق ما تم عرضه يتضح أن كبير المهندسين أو معلم المعمارية أو معلم المعلمين أو المعمار باشا كان على رأس طائفة أرباب الخبرة المعمارية بمصر المملوكية والعثمانية . ووضح أيضاً أن المهندس أو المعمار وشاد العمائر كان هو الشخصية التالية له في الأهمية بين أفراد تلك الطائفة وهو الذي كان يقوم بعمل الرسومات الهندسية التخطيطية للعمائر المراد تشييدها . وعليه أيضاً الإشراف على تنفيذ ذلك بموقع العمل. واتضح أيضاً العلاقة الوطيدة بين المهندسين والقضاة وأثرها في إصدار أحكامهم في القضايا الخاصة بالمنازعات المعمارية مسترشدين برأي المهندسين .

جـ البناء :-

البناء هو أحد العاملين بطائفة أرباب الخبرة المعمارية وله دور رئيسي في كل الأعمال المعمارية التي يتم تشييدها ، فحرفته من الحرف الشهيرة في مجال العمارة . والبناء هو من يحترف مهنة البناء سواء بالطوب أو بالحجر أو بغيرهما،وقد يمتد عملة إلى زخرفة الجدران شريطة ألا يكون ذلك بالذهب،لأنه يحرم تمويه السقوف والجدران به (١٠٠)

وشاع في الوثائق إطلاق لقب " معلم " على البنائين (١٠١)وفي بعض الأحيان كان البناء يقوم بعمل المهندس كأن يصمم المبنى ثم يقوم ببنائه والإشراف عليه . ولعل النقش الذي عثر عليه بضريح الشيخ بايزيد المؤرخ بعام ٧٠٢ هـــ ١٣٠٣م يوضح ذلك حيث ورد به" عمل محمد بن الحسين بن أبي طالب المهندس البناء الدمغاني وأخوه حاجي "(١٠٢) وقد يفهم من النص أ ن بعض المهندسين كان يزاول حرفة البناء ، وربما كانوا في الأصل بنائين ثم درسوا الهندسة ووصلوا إلى مرتبة المهندسين(١٠٣). وحرفة البناء من الحرف التي وردت في العديد من نصوص البرديات العربية التي ينسب بعضها إلى القرن٣ هـــ / ٩ م (١٠٤) ، ورغم هذا فأننا نلاحظ أن بعض كتب الحسبة لم تذكر فئة البنائين ضمن حصرها وذكرها لطوائف الصناع (١٠٥)، في حين ورد ذكرهم في بعض كتب

---

(٩٨) – الوثيقة ٨٨٢ / أوقاف ، ص ٢١١ ، الوثيقة ٨٨٠ / أوقاف ، د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـــ ١ ، ص ١١٥٨ ، د / محمد عبد الستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الأستادار دراسة تاريخية أثرية وثائقية ، دار المعارف ١٩٨٣ م ، ص ١٠٦ ، وثيقة داود باشا ١١٧٦ / أوقاف .

(٩٩) – انظر الوثائق ٣٤١ ، ٤٠٣ ، ٤٦٧ ، ٤٥٤ ، ٦٠ ، ٥١٦ ، ٤٤٣ ، ١٧٦ ، ٤٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ٣٥٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٢ ، ٣٩٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٣٤٠ ، محكمة رشيد ، سجل ١٨ ، مادة ١٩٦١ ، ص ٥٤٢ ، نفس السجل ، مادة ٢٢٣ ، ص ٦١ ، مادة ٢٩٧ ، ص ٨٣ – ٨٤ .

(١٠٠) – السبكي ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـــ ١ ، ص ٣٠٨ ، د / سعيد مغاوري ، الالقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية ، دار الكتب المصرية ، ٢٠٠ م / مج ١ ، ص ٢٥١ .

(١٠١) – محكمة رشيد ، سجل ١٨ ، مادة ١٨٢٢ ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨ ، مادة ١٠٩٣ ، ص ٣٢٣ ، مادة ١١٦٧ ، ص ٣٤٥ ، نفس المحكمة ، سجل ٨ ، مادة ٣٣٠ ، ص ٩٥ ، نفس المحكمة ، سجل مؤرخ في ١٢ ربيع الآخر ٩٨٥ هـــ ، وسجل ١٤ ، مادة ٧٥٠ ، ص ١٩٩ ،

Reymond (A) : Artisans et Commercants au Cairo au xviii sieck , 2 Tomes , Damas 1973 , II , P . 546 .

(١٠٢) – د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـــ ١ ، ص ٣٠٨ ويذكر أن غالبية الأبنية التي تشيد في قرى مصر حتى الوقت الحالي يقوم البناء بوضع التصميم المعماري لها ، ثم يقوم ببنائها .

(١٠٣) – د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـــ ٣ ، ص ١١٥٩ .

(١٠٤) – د / سعيد مغاوري ، المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

(١٠٥) – الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريتي ، ط . الثانية بيروت ١٩٨١ م ، شريل داغر ، الفن الإسلامي في المصادر العربية ، ص ٢٢ – ٢٣ .

الحسبة الأخرى (١٠٦) . وعلى الرغم من أن كتاب ومؤرخي مصر لم يهتموا بطائفة البنائين إلا أن العمائر الباقية بمصر بما فيها من جودة وجمال خير شاهد لهم على أنهم كانوا يعملون وفق تقاليد ورثوها ، بل إننا نلحظ تطور فكرهم وأساليبهم الإنشائية والزخرفية من عصر لآخر ، مما يؤكد أنهم أضافوا إلى ما ورثوه من تجاربهم وخبراتهم وروح دينهم وعصرهم ، فبلغوا بفضل ذلك مستواً رفيعاً من المهارة وإتقان الصنعة . وقد سجلت لنا إحدى وثائق محكمة رشيد حادثة طريفة نقف من خلالها على جانب من طبيعة عمل البناء من ناحية، وعلى موقف الشرع الحنيف مما يعرض عليه من قضايا تتصل بالمنشآت المعمارية من ناحية ثانية وكيفية الحكم فيها . ومما جاء في هذه الوثيقة أن البدري محمد بن سالم المغربي ادعى على كل من سليمة ابنة عمر والحاج أحمد بن خطاب بن عمر السكرى والمعلم محمد بن جميل البناء الشهير بحرفته وبالديباني والمعلم على بن الحاج حسن الجلاد الشهير بالبنواني وبحرفته، وقال في ادعائه أن الحاج أحمد السكرى بنى صهريجاً مجاوراً لمكان عتيق ملك للحاج زايد المغربي من الجهة الشرقية ومجاور لحوش المعلم على البنواني من الجهة القبلية، وحين شرع المعلم محمد الديباني البناء في حفر أساس هذا الصهريج لم يقم بعمل السادات والشدات الخشبية والحجرية الواجب عملها في مثل هذا الأمر، مما تسبب في انهيار بناء الحاج زايد وسقوطه على حوش المعلم على البنواني فماتت سليمة بنت على بن خطاب ساكنة هذا الحوش. ويطلب المدعي من القاضي تنفيذ ما يقتضيه الشرع الشريف في مثل هذه الحالة. وحين تحرى القاضي الأمر ثبت له أن البناء قام بعمل الشدات الواجب عملها، وثبت له أيضاً أن البناء المنهار كانت به تصدعات وتشققات وأنها كانت سبب انهياره عقب هطول أمطار شديدة وكان ذلك بعد الفراغ من بناء الصهريج بعشرة أيام ، يضاف إلى ذلك أن البناء المنهار سقط في جهة أخرى غير الجهة التي بها حوش المعلم على البنواني وبالتالي لم يتسبب في موت سليمة . وبموجب تلك الأدلة حكم القاضي ببطلان الدعوى (١٠٧)

٤ :- الطواب والآجري والحجار

الطواب هو صانع الطوب اللبن،أما الآجري فهو الذي يقوم بحرق الطوب اللبن ليصير آجراً، ولذلك لقب صاحب هذه الصنعة بالآجري. وأما الحجار فهو الذي يقوم بقطع الأحجار من الجبل وينحتها ويهذبها وفق مقاسات معينة (١٠٨) . ومما يلاحظ أن الألقاب التي أطلقت على هؤلاء الأشخاص ألقاب نسبة ؛ نسب كل شخص فيها إلى حرفته ، ويلاحظ أيضاً أن أرباب هذه الحرف الثلاث يقوم كل منهم بتجهيز إحدى مواد البناء ؛ ومن ثم تظهر أهميتهم في مجال البناء والتشييد رغم أنهم لا يشاركون في مواقع العمل المعمارية كالمهندس والبناء وغيرهم من أرباب الحرف الأخرى فالطواب و الآجري والحجار يقتصر دورهم على تجهيز مواد البناء في أطراف المدن والقرى أو في المناطق الجبلية ، ثم تنقل بعد ذلك إلى مواقع العمل. وقد سجلت إحدى وثائق الباب العالي تعاقداً مؤرخاً في ٤ جمادى الآخر ١٠٠٩هـ تم إبرامه بين الأغا داود ناظر الدشايش بمصر وبين طائفة من الحجارين بناحية طرا يجهز الحجارون بموجبه أحجاراً حمراء بمقاسات معينة يتسلمها ناظر الوقف في المحجر بالعدد . وتحدد أن يكون سعر كل ١٠٠ حجر ١٥٠ نصف فضه (١٠٩) . ومن المخاطر التي قد يتعرض

---

١٠٦ – ابن الأخوة(محمد بن محمد بن أحمد القرشي) معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م ص ٣٤٣.

(١٠٧) – محكمة رشيد ، سجل ١٨ ، مادة ١٦٥٤ ، ص ٤٧٤ – ٤٧٥

(١٠٨) – د / سعيد مغاوري ، المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٠١ ، ٦٠٤ .

(١٠٩) الباب العالي، سجل ٧٣، مادة ٣٣٧ ، ص ٩٢. وذكرت الوثيقة أن طول كل حجر ذراع وعرضة ١٤ قيراطاً وعلوه ١١ قيراطاً ، Nelly Hanna , Op, cit , P 55-56

الحجارون لها انهيار جزء من الجبل عليهم أثناء عملهم مثلما حدث في عام ٨٩٩ هـ في عهد السلطان قايتباي [١١٠].

هـ :- النحات والمرخم :-

النحات هو الذي يقوم بنحت الزخارف أو حفرها في الحجر أو الرخام ، ويساعده في تسويه الحجر وتشكيله " نقار " ، وربما يقوم النحات بحفر النقوش الكتابية على أحجار الأبنية أو يشكل المقرنصات [١١١] ولذلك يدخل عمل النحات ضمن أعمال البناء. أما المرخم فهو الذي يستخدم الرخام في رصف أرضية المنشآت المعمارية دينية كانت أو مدنية ، ويستخدمه أيضاً في تأزير جدرانها وفي زخرفة محاريبها أو يقوم بعمل التراكيب الرخامية للمدافن وينقش زخارفها ، كما يقوم بنقش الكتابات والزخارف على شواهد القبور ، وقد يكون هذا سبباً في تلقب المرخم بلقب " النقاش "[١١٢] ونلاحظ أن المرخم يقوم بعمل النحات حين يحفر الزخارف في الرخام . ويقوم المرخم بتقدير ثمن ألواح الرخام إذا اقتضت الضرورة ذلك مثلما حدث حين أراد السلطان الغوري شراء رخام قاعة الطنبدي لإعادة استخدامه في مجموعته المعمارية فقام كل من عبد القادر بن محمد بن أحمد المرخم وعلى بن أحمد بن محمد المرخم المعروف بالبيجوري بتقدير الثمن [١١٣].

و :- الدهان أو المبيض :-

الدهان هو الذي يطلي أو يدهن بالأصباغ والدهان الجدران أو الأسقف والأبواب والشبابيك أو الأدوات والأواني . وهذه الصنعة من الصنائع التي تروج وتزدهر حين يزدهر النشاط المعماري بالمدن . والنظرة المتأملة لأسقف العمائر التي وصلتنا من العصرين المملوكي والعثماني تدل على مدى تقدم هذه الصنعة التي يطلق علي من يحترفها في اللهجة المصرية الدارجة لفظ " مبيض " [١١٤]

ز :- النجار :-

النجار هو صانع الأثاث والأسقف والأبواب والشبابيك والمنابر وكراسي المصاحف والمقاصير والمشربيات وغيرها من المنتجات الخشبية . وحرفة النجارة من الصناعات التي يكون صاحبها على دراية كبيرة بعلم الهندسة وأصوله، خاصة من يقوم بتنفيذ زخرفة الطبق النجمي وأجزائه بالمنابر أو الأبواب أو الأسقف . وحوت بعض الوثائق أسماء نجارين [١١٥] .كما اشتملت كتب التراجم على أسماء أخرى ذكرت مقرونة بلفظة نجار ونلحظ ذلك أيضاً في بعض شواهد القبور .

ح :- الرقاص ونصف الرقاص و الفعلة:-

ورد لقب" الرقاص" و" نصف رقاص" في بعض البرديات العربية التي ترجع للقرنين٣- ٤هـ/٩ – ١٠م [١١٦]. والرقاص هو الشخص الذي يتولى خلط الطين بالماء ليستخدم كمادة لاصقة (مونة) في عملية البناء، ولعل طريقة عملة أثناء تجهيز المونة وتأديته لبعض الحركات شبه الراقصة كانت سبباً

---

(١١٠) – ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ . وذكر أن الحادثة تسببت في موت جماعة من الحجارين وثلاثة من المماليك كانوا معهم فكان هذا أمراً مهولاً .

(١١١) – د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٧٤ – ١٢٧٥ .

(١١٢) – د/ حسن الباشا ، المرجع السابق.

(١١٣) – الوثيقة ٥٨٦ جديد / أوقاف وهي مؤرخة في ٢٦ شوال ٩٠٨ هـ . وبالفعل فقد أشترى الغوري رخام القاعة وأعاد استخدامه في مدرسته ومدفنه وخانقاته .

(١١٤) – د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥١٧ – ٥١٨ ، جـ ٣ ، ص ٩٨٩ .

(١١٥) – محكمة رشيد ، سجل مؤرخ في ٢٠ محرم ١١١٨ هـ ، مادة ١٢٨ ، ص ١٠٨ – ١١٢ ، د / حسن الباشا ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٦٦ .

(١١٦) – د / سعيد مغاوري ، المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٤٣٤ – ٤٣٥ .

في إطلاق هذا اللقب عليه . أما لقب " نصف الرقاص " فربما كان يطلق على الصبي الذي كان يساعد الرقاص ، ونظراً لصغر سنه فإن أجره كان يعادل نصف أجر الرقاص .
أما الأفراد الذين يتم استئجارهم للمساعدة في أعمال البناء فكان يطلق عليهم الفعلة. وقد وردت هذه الحرفة في العديد من البرديات العربية بداية من القرن ٢هـ/٨ م وحتى القرن ٥هـ/١١م وذكرتهم بـ" أجرا البناء " (١١٧). ويفهم من هذا أن بعض الفعلة كانوا متخصصين ومتدربين على بعض الأعمال المساعدة في أعمال البناء . وقد تقلبت أحوال الفعلة في العصرين المملوكي والعثماني ما بين تسخيرهم مقابل قوتهم اليومي أو إعطائهم أجراً يومياً نصفه عينياً في بعض الأحيان والنصف الآخر نقداً (١١٨) ، وإن كانت بعض المصادر التاريخية أشارت إلى إنعامات السلاطين عليهم في بعض الأحيان فمثلاً ذكر ابن إياس أن السلطان الظاهر برقوق عند الانتهاء من بناء مدرسته ببين القصرين أغدق الهبات والمكافآت على جميع من اشترك في العمل فيها من الأمراء والمهندسين والمرخمين والنجارين والدهانين والبائين والفعلة (١١٩) وحين شرع السلطان المؤيد شيح في عمارة جامعه اشترك فيه نحو مائة فاعل ، وبضع وثلاثين بناء وفيت لهم أجورهم من غير أن يكلفوا فيه أكثر من طاقاتهم ولا سخر أحد من الناس بالقهر(١٢٠). وذكر ابن إياس أن الغوري حين أنتهي من بناء جامعة " خلع على عدة وافرة من المهندسين والبناءين والمرخمين والنجارين وغير ذلك من أرباب الصنائع ، وانعم على الفعلة لكل واحد ألف درهم (١٢١). وهناك بعض العمال الذين يكون وجودهم في موقع العمل ضرورياً رغم أنهم ليسوا من عمال البناء مثل السقا والحارس وعمال الأنقاض.
ويتضح من العرض السابق أن طائفة أرباب الخبرة المعمارية في مصر المملوكية والعثمانية قامت بدور مهم جداً في حركة البناء والتعمير ، وأنها كانت تشتمل في تنظيمها الداخلي على عدة صنائع أو حرف ذكر بعض العلماء أن عددها بلغ اثنتا عشر حرفة أطلق على أصحابها أرباب الصنائع أو الحرف وكان لكل حرفة شيخها ، ويخضع أربابها لشيخ طائفة المعمارية أو للمعمار باشا. ووضح أيضاً أن التنظيم الداخلي لطائفة أرباب الخبرة المعمارية كان تنظيماً هرمياً يأتي شيخ الطائفة على قمته بينما تتكون قاعدته من الفعلة أو الأجراء . وأخيراً تجب الإشارة إلى أننا لم نعثر على كثير من أسماء أرباب الحرف ، لأنهم لم يدونوا أسماءهم على أعمالهم من ناحية ، كما أن المؤرخين قلما حدثونا عنهم وعن مهنتهم من ناحية ثانية .(١٢٢)

---

(١١٧) د / سعيد مغاوري ، المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٠٢ – ١٠٥ ، ص ٦٠٨ – ٦٠٩
(١١٨) – د / قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٦
(١١٩) – ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٧٢ – ٣٧٣.
(١٢٠) – المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ ، ق ١ ، ص ٣٤٧.
(١٢١) – ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٨ .
(١٢٢) – شربل داغر ، المرجع السابق ، ص ١٤ ، ٣٠ ، ٣٢ – ٣٣ . وقد ارجع بعض العلماء ظاهرة ندرة أسماء المهندسين وأرباب الحرف الأخرى لأمرين ، أولهما أن الفن الإسلامي فن غير شخصي ، وثانيهما أنه فن أرستقراطي . انظر د / زكي محمد حسن ، إمضاءات الفنانين في الإسلام ، مجلة الثقافة عدد ٤٠ ، السنة الأولى ، أكتوبر ١٩٣٩ م ، ص ٢٢ – ٢٣ . ويرى فريق آخر أن السبب في ذلك راجع إلى أن المسلمين كانوا ينظرون إلى الصناعة والصناع نظرة دونية كما كان عليه حال العرب في الجاهلية ، وكل ما حدث من تغيير في أمر الصناعات عبارة عن تجمع أهلها في تجمعات اختياريه أطلق عليها في كتابات اليعقوبي والجاحظ والطبري والخطيب البغدادي والسقطي وغيرهم الأصناف ونافستها ألفاظ أخرى مثل " أصحاب المهن والحرف " و " أصحاب الحرف " و " الطوائف " . انظر شربل داغر ، المرجع السابق ، نفس الصفحات .

توريث الحرف :-

جرت العادة أن يتخذ الأبناء حرفة الآباء [١٢٣] ، فكانوا يرثونهم في مهنتهم كما يرثونهم فيما يتركوه من مال وعقار وأراضي وقد أكد إخوان الصفا هذا الأمر بقولهم " إن صناعة الآباء والأجداد أنجع في الأولاد من صناعة الغرباء، وخاصة من دل مولده عليها ، ويكونون فيها أحذق وأنجب [١٢٤].

ومن هنا قال ميكل ونتر إن " المبدأ الوراثي كان بارزاً ، وبخاصة في طوائف الحرفين [١٢٥] .

والحق أن ما ورد بالمصادر التاريخية والوثائق المملوكية والعثمانية يؤكد ذلك ، فمثلاً حين تحدث المقريزي عن الشهابي أحمد بن أحمد بن محمد الطولوني قال " كان أبوه وجده مهندسين ، وإليهما تقدمه الحجارين بديار مصر ، وعليهما المعول في العمائر السلطانية [١٢٦] " . ونلحظ مبدأ توريث الحرفة في الأسر من خلال ما ورد بالوثائق المملوكية فنعرف من أسرة " ابن الصياد " المهندس محمد نجا بن بدر الدين بن عبد القادر ولديه على وحسين [١٢٧] ومن خلال تواريخ الوثائق التي أطلعنا عليها نعلم أن مهندسي هذه الأسرة عاصروا فترة حكم السلطان قايتباي وحتى عصر السلطان الغوري. ومن الأسر المملوكية التي أمكننا معرفة أسماء بعض مهندسيها من خلال الوثائق " أسرة ابن الفقيه " ، حيث عرفنا أسماء ثلاثة أخوه هم :- ١ - حسين بن على بن محمد عرف بابن الفقيه ٢- إسماعيل بن على بن محمد عرف بابن الفقيه ٣ - عبد القادر بن على بن محمد عرف بابن الفقيه [١٢٨] وعلمنا من الوثائق أيضاً ثلاثة أخوة آخرين من نفس الأسرة هم :- ١- عبد القادر بن محمد بن على المهندس عرف بابن الفقيه ٢ - حسين بن محمد بن على عرف بالفقيه المهندس٣ - إسماعيل بن محمد بن على المهندس عرف بابن الفقيه[١٢٩]

وأفادتنا الوثائق المملوكية في معرفة أسماء أربعة من المهندسين المشهورين بلقب " الصحراوي " ثلاثة أخوة وابن لأحدهم وهم :- ١- محمد بن على بن أحمد المهندس المعروف بالصحراوي٢- أحمد بن على بن أحمد المهندس بالخدمة الشريفة المعروف بالصحراوي ٣- إبراهيم بن على بن

---

(١٢٣) - د / السيد طه أبو سديرة ، المرجع السابق ، ص ٣٨٨ - ٣٩٠ ، شربل داغر ، المرجع السابق ، ص ١٢.

(١٢٤) - محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٩٧ ، د / عبد الناصر ياسين ، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي ، دراسة آثارية حضارية للتأثيرات الفنية الوافدة ، دار الوفاء ، الإسكندرية ٢٠٠٢ م ، حــ ١ ، ص ٣٢٨ .

(١٢٥) - ميكل ونتر ، المرجع السابق ، ص ٣٦٧.

(١٢٦) - المقريزي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق د / محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتب ، ط . أولى ١٩٩٢م ، مج ١ ، ص ٢٢٣ ، السلوك ، جــ ٣ ، ص ١٠٢٤ ، ابن الصيرفي ، المصدر السابق ، جــ ٢ ، ص ٢٧ . ومن مهندسي هذه الأسرة أيضاً المعلم محمد بن حسين الطولوني الذي عاصر السلطان جقمق . راجع ابن تغرى بردي ، حوادث الدهور ، جــ١ ، ص ١٨٣ .

(١٢٧) - عن بدر الدين محمد بن عبد القادر بن على . انظر الوثائق رقم ١٥١ ، ٤٣٥ ، ٤٦٢ ، ٤٢٥ ، ٥٢٢ ، ١١٦ ، ٤٣٠ ، ٤٠٦ ، ٤٦٧ ، ٤٣٧ ، ٤٠٧ ، ٧٥١ ، ٣٢٦، ٧٧٣ ، ٣٥٧ ، ١٦٣ ، ٤٥١ ، ١١٨ جديد / أوقاف . والوثائق المذكورة مرتبة تاريخياً من الأقدم للأحدث فالأولى تاريخها ٢٤ محرم ٨٩٣ هــ والأخيرة مؤرخة في ١٧ صفر٩١٥ هــ . وعن المهندس على بن محمد بن عبد القادر بن على أنظر الوثائق الآتية : - ١٣٠ ، ٦٦٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ١٦٤ ، ٢٦١ ، ١١٣ ، ٥٧٥ ، ١٦٣ ، ٣٨٨ ، ١٧٩ ، ٣٥٧ ، ٣٧١ ، ١١٩ ، ٧٧٣ ، ١١٨ جديد / أوقاف .وعن المهندس حسين بن محمد بن عبد القادر أنظر الوثائق ٥٢٢ ، ٤٠٦ ، ١٠٠ ، ٧٥ ، ٦٦٨ جديد / أوقاف .

(١٢٨) - انظر الوثائق ٣٧٦ ، ٣٧٣ ، ٣٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٩٥ ، ٣٦٢ ، ٣٧٨ ، ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ٣٦٦ ، ٤٠٠ ، ١٢٥ ، ٤٢٥ ، ١١٣ ، ٣٥٧ ، ٣٧١ ، ٥٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٦٨ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٦٠ ، ٦٦٨ ، ٥٢٢ ، ١٠٠ ، ١٤٢ ، ٤٤٩ ، ١٧٩ ، ١٦٣ ، ٤٥٧ جديد / أوقاف انظر اللوحات رقم ١، ٢ ، ٣ ، ٤.

(١٢٩) - انظر الوثائق ٣٥٦ ، ٣٣٦ ، ٣٦٩ ، ١٦٤ ، ٣٩٤ ، ١٩٣ ، ٣٨٨ ، ١١٦ جديد / أوقاف

أحمد المهندس عرف بالصحراوي ٤- أحمد بن أحمد المهندس عرف بالصحراوي [١٣٠] . أمدتنا الوثائق باسم أب وابنه وهما من أسرة المناوي وهما١- أحمد بن محمد بن أحمد المناوي. ٢- ناصر الدين محمد بن أحمد المناوي ، ويبدوا أنهما كانا من مهندسي الأراضي بدلالة اشتراكهما في تقدير ثمن العديد من الأراضي وقياسها [١٣١] ونتأكد أيضاً من توريث حرفة الأب للابن ثم الحفيد حينما نقرأ الأسماء الآتية :- ١- أحمد بن محمد العراقي المهندس٢- محمد بن أحمد العراقي المهندس ٣- محمد بن محمد بن أحمد العراقي المهندس [١٣٢] . وعلمنا من الوثائق أسماء اثنين من المهندسين من" أسرة بن الرسول " من عصر قايتباي وهما: ١- سالم بن إبراهيم صدقة بن الرسول ٢- أحمد بن على بن محمد المهندس عرف بابن الرسول[١٣٣] . كما أن أسرة المصري من الأسر التي كان بعض أفرادها من مهندسي الأراضي في فترة حكم السلطان الغوري مثل١- محمد بن على بن محمد الأعرج المصري٢- ومحمد بن أحمد بن حسن عرف بالمصري٣- وأحمد بن وسف المهندس عرف بالمصري [١٣٤] وأفادتنا بعض وثائق العصر العثماني في معرفة أسماء بعض المهندسين وأكدت في ذات الوقت توريث الحرفة في أسرهم : فمثلاً :ورد بإحدى وثائق الباب العالي اسم المعلم بركات بن محمد الطويل وأخيه المعلم يحيي بن الطويل ، وورد بها اسم المعلم يحي بن عبد القادر القليوبي وأخيه المعلم محمد بن عبد القادر القليوبي [١٣٥] وورد في إحدى وثائق محكمة رشيد ما يؤكد مبدأ توريث الحرفة في العصر العثماني بدليل توقيع الأب والابن على محضر مؤرخ في ١٠ محرم ١١١٨ هـ وهما " المعلم أحمد بن محمد البدري شيخ طائفة البنائين بالثغر وولده المعلم عبد اللطيف المدعو عبد اللطيف البنا بالثغر[١٣٦] .وجاء في وثيقة أخرى اسم " المعلم محمد بن حسن شرا البرلسي البرلسي البنا بالثغر وأخيه المعلم على بن حسن شرا البرلسي البنا هو الآخر بالثغر[١٣٧] وجاء بإحدى وثائق محكمة القسمة العربية تصادق أربعة أخوه على امتلاكهم لطاحون بخط المقسم بسويقة الزلط وعلى اشتغالهم بحرفتي النجارة والنقر بالطواحين وهم " الذمي جرجس مجلي النجار في الطواحين والذمي درويش مجلي النقار في الطواحين والذمي أسعد مجلي النجار في الطواحين والذمية نبيا وهم أولاد الذمي مجلي أسعد النقار في الطواحين بين أسعد النصراني القبطي [١٣٨] . وجدير بالذكر أن

(١٣٠) - انظر الوثائق رقم ٥٤٥ ، ٣٢٦ ، ٣٨٨ ، ٤٠١ ، ٧٤٥ ، ٧٥ ، ١١٣ جديد أوقاف ،الوثيقة رقم ٢٥٦ / ٤٠ الخاصة بخاير بك وهي مؤرخة في آخر ربيع الأول٩١٢ هـ

(١٣١) - انظر الوثائق ١٠٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٤٥٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٩٣ جديد / أوقاف

(١٣٢)- انظر الوثائق أرقام ٥٣٤ ، ٤٢٨ ، ١٢٠ جديد / أوقاف . وقد عاصر هؤلاء فترة حكم كل من السلطان الأشرف إينال العلائي ، السلطأمر خشقدم ، وبداية حكم السلطان قايتباي .

(١٣٣) - انظر الوثائق ٦٠ ، ٩٩ ، ٥٤١ ،٣٤٧ جديد / أوقاف.

(١٣٤)- انظر الوثائق ٦٠ ، ١٧٦ ، ٣٤١جديد / أوقاف.

(١٣٥)- محكمة الباب العالي ، سجل ٤٦ ، مادة ٢٩٧ ، ص ٥٣ – ٥٤ والوثيقة مؤرخة في ٢٣ جمادي الأولى ٩٨٩ هـ ؟، ووردت به أسماء أخرى لمهندسين هم عبد الجواد بن عبد الكرم بن على الشهير باقافي وسويدان بن نصر الله بن سويدان النصراني اليعقوبي الشهير بابن بندق – انظر قائمة المهندسين بهذا البحث وانظر أيضاً اللوحة رقم ٧.

(١٣٦)- محكمة شيد ، سجل مؤرخبعام١١١٨ هـ ، مادة ٧٣ ، ص ٥١ – ٥٢ وعن هذين المهندسين انظر الوثائق التالية بنفس السجل : مادة ٩٤ ، ص ٧٤ – ٧٥ ، مادة ١١٦ ، ص ٩٤ ، مادة ١٣٤ ، ص ١١٧ – ١١٨ ، مادة ١٣٨ ، ص ١٢٢ – ١٢٣ ، مادة ٢٣٠ ، ص ٢٣٧ ، مادة ٢٦١ ، ص ٢٧٥ – ٢٧٧ ، السجل المؤرخ بعام ١١٠٦ هـ ، مادة ٧ ، ص ٥ – ٦

(١٣٧)- محكمة رشيد سجل مؤرخ بعام ١١١٨هـ ، مادة ٢٥٨ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤

(١٣٨-) محكمة القسمة العربية ، سجل ، ١٥٤ ، مادة ٤ ، ص ٨ – ١١ .

مبدأ توريث الحرف في مصر لم يكن قاصراً على عصر معين ، بل كان شائعاً فيها قبل الفتح العربي الإسلامي لها ، واستمر بعده بدليل ما عرضناه من نصوص المصادر التاريخية والوثائق المملوكية والعثمانية . وقد كان لهذا المبدأ دور إيجابي في تقدم الصناعات والمحافظة على تقاليدها وأسرارها ودقائقها وعدم تأثرها بالأحداث السياسية الجارية (١٣٩)، كما كان له دوره السلبي المتمثل في ندرة المؤلفات أو المصنفات الخاصة بالصناعات ، لدرجة أن ما وصلنا عنها مجرد نتف متفرقة ذكرت بغير قصد ببعض المصادر التاريخية أو كتب الحسبة . ولعل السبب في ذلك راجع إلى رغبة أهل الصنائع في المحافظة على أسرار الصنعة ودقائقها بحيث لا يعلمها إلا من يتدرب على أيديهم من أبنائهم أو اخوتهم ، ويتم تلقينهم أصولها وفنونها عملياً ، ومن ثم لم يتمكن أحد من المؤلفين من الوقوف على دقائق الصنائع وأسرارها ،فندر تأليفهم في هذا المجال (١٤٠)

ثالثاً قائمة بأسماء مهندسي مصر في العصريين المملوكي والعثماني

أ – من مهندسي العصر المملوكي:-

مسلسل	الاسم		الأسرة
١	محمد الطولوني	الأب والابن والحفيد	الطولونى
٢	أحمد بن محمد الطولوني		
٣	احمد بن احمد بن محمد الطولونى		
٤	محمد بن حسين الطولوني (الأخ)	ا الاثنان أخوة	
٥	البدري حسن بن حسين الطولوني (الأخ)		
٦	يوسف شاه العلمي بن كويز		الكويز
٧	بدر الدين محمد بن كويز		
٨	حسين بن على بن محمد الفقيه	الثلاثةأخوة	ابن الفقيه
٩	إسماعيل بن على بن محمد بن الفقيه		
١٠	عبد القادر بن على بن محمد بن الفقيه		
١١	عبد القادر بن محمد بن على بن الفقيه	الثلاثة أخوة	
١٢	حسن بن محمد بن على بن الفقيه		
١٣	إسماعيل بن محمد بن على بن الفقيه		
١٤	محمد بن على بن احمد المهندس المعروف بالصحراوي	الاثنان أخوة	صد ا

(١٣٩)– د / محمد مصطفى نجيب ، المرجع السابق ، ص ٤ ، حاشية ١ .

١٤٠ – شربل داغر ، المرجع السابق ، ص ١٢ ، ص ٣٢ – ٣٣ولعل من أشهر المؤلفات في مجال الحرف والصناعات

- واضح الصمد ، الحرف والصناعات عند العرب في الجاهلية ، بيروت ، ط . أولى ١٩٨١ م
- الملك المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول ، المخترع في فنون من الصنع ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، الكويت ١٩٨٩ م
- * عبد العزيز بن إبراهيم العمري ، الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول (صلعم) الرياض ١٩٩٥ م

١٥	أحمد بن على بن أحمد المهندس المعروف بالصحراوي	
١٦	أحمد بن محمد بن أحمد المناوي	المناوى — الأب والابن
١٧	ناصر الدين محمد بن أحمد المناوي	
١٨	محمد بن أحمد العراقي	العراقي — الأب والابن والحفيد
١٩	محمد بن محمد العراقي	
٢٠	أحمد بن محمد بن محمد العراقي	
٢١	سالم بن إبراهيم بن صدقة بن الرسول	ابن الرسول
٢٢	أحمد بن على بن محمد بن الرسول	
٢٣	محمد بن محمد بن رسلان المهندس عرف بجقمق	
٢٤	محمد بن محمد بن العماد الغمري عرف بابن العماد	
٢٥	أحمد العنبري المهندس عرف بالعنبري	
٢٦	أحمد بن محمد بن أحمد المهندس في الإقطاعات الشهير بابن العظمة	
٢٧	محمد بن الطنبغا الأزهري	
٢٨	محمد بن على بن أحمد المحوجب	
٢٩	محمد بن على بن عبد الله الحريري	
٣٠	محمد أبو الخير بن محمد بن على عرف بابن نقيب الغلمان	
٣١	محمد بن على بن عبد الله عرف بالسحار	
٣٢	إبراهيم بن صدقة بن أحمد الهيثمي	
٣٣	إبراهيم بن عبد القادر الدمنهوري	
٣٤	إبراهيم بن عبد الله بن يوسف الشهير بابن أخيه يوسف المهندس	
٣٥	بدر الدين محمد بن محمد المهندس عرف بابن أحمد المهندس	
٣٦	على بن محمد بن خليل المهندس عرف بزريق	
٣٧	خليل بن على المشهور بابن الحاج المهندس	
٣٨	إبراهيم بن محمد المهندس	
٣٩	على بن عبد الله بن على المهندس	
٤٠	على بن على بن حسن الشهير بابن عصفور المهندس	
٤١	على بن عبد الله بن على الشهير بالعجمي	
٤٢	محمد أبو الفتح بن عبيد بن على المهندس الشهير بالحلواني	
٤٣	أحمد بن شعبان بن أبي بكر المهندس عرف بالحسامي	

٤٤	عبيد بن محمد بن عبد الله المهندس عرف بالجقمقي	
٤٥	محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل المهندس عرف بالخليلي	
٤٦	سليمان بن داود بن إبراهيم المهندس بالخدمة الشريفة عرف بابيه	
٤٧	المعلم محمد بن أحمد بن محمد المهندس الشهير بابن العطار	
٤٨	أبو بكر بن على بن حسن شهرته أبو شعرة أو شفرة	
٤٩	بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله المهندس عرف بابن حمزة	
٥٠	على بن إبراهيم بن عبد الله المهندس عرف بابن أخي عجم	
٥١	عبد القادر بن على بن محمد المهندس عرف بابن الشاطر	
٥٢	محمد بن نجا بن سالم المهندس عرف بصهر المغربي.	
٥٣	إبراهيم بن على بن احمد المهندس.	
٥٤	بدر الدين محمد بن محمد عرف ببدير المهندس.	
٥٥	محمد بن رمضان بن زين الدين عرف بابن المنجم المهندس.	
٥٦	احمد بن محمد البهنساوى.	
٥٧	محمد بن محمد بن عبد الله المهندس في العمائر عرف بابن خمس.	
٥٨	إبراهيم بن نصر المهندس.	
٥٩	أبو بكر بن محمد بن محمد عرف بالدمياطي.	
٦٠	أحمد بن محمد المهندس عرف بالكافوري.	
٦١	يوسف بن إبراهيم عرف بإبراهيم المهندس.	
٦٢	على بن احمد بن سطوح المهندس.	
٦٣	عبد القادر بن محمد المهندس عرف بابن العرارة.	
٦٤	محمد بن عبيد المهندس عرف بأبي النجا.	أ ب وولديه
٦٥	محمد بن عبد الله بن عبد الله.	
٦٦	عبد القادر بن محمد بن احمد المرخم.	
٦٧	على بن أحمد بن محمد المرخم عرف بابن البنجور	
٦٨	محمد بن على بن محمد الأعرج المصري.	
٦٩	محمد بن احمد بن حسن عرف بالمصري.	
٧٠	احمد بن يوسف المهندس عرف بالمصري.	
٧١	احمد بن يوسف بن محمد العنبري عرف بابن الخولى	
٧٢	عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الرحمن الخولى عرف بجده.	
٧٣	محمد نجا بن بدر الدين بن عبد القادر المهندس عرف بابن الصياد.	أبن الصياد
٧٤	على بن محمد نجا بن عبد القادر المهندس عرف بابن الصياد .	
٧٥	حسن بن محمد نجا بن عبد القادر المهندس عرف بابن الصياد.	

ب – من مهندسي العصر العثماني:-

مسلسل	الاسم	الأسرة
١	على بن اسكندر.	
٢	المعلم محمد المصري شيخ المهندسين بمصر ٩٧٩هـ.	
٣	حسين بن على بن زارع معمار باش الإسكندرية ١٠٨٠هـ (أب)	
٤	علي بن حسين بن على بن زارع (ابن).	
٥	المعلم عبده بن الحاج مصطفى المعروف بابن نشاره.معمار باشا ثغر دمياط ١١٥٢هـ.	
٦	سليمان بلخ شيخ طائفة المعمارية.لمدة عقدين فى النصف الثاني من القرن ١٨م.	
٧	المعلم إبراهيم بن سليمان المحلاوي.	
٨	المعلم نصر لدين الله محمد الشهير بابن شمعة.	
٩	المعلم بركات بن محمد الطويل. (الاثنان أخوة)	الطويل
١٠	المعلم يحيى بن محمد الطويل.	
١١	المعلم يحيى بن عبد القادر القليوبى.	القليوبى
١٢	المعلم محمد بن عبد القادر القليوبى.	
١٣	المعلم عمر بن محمد القليوبى.	
١٤	المعلم رمضان بن بركات.	
١٥	المعلم أحمد بن محمد البدري شيخ طائفة البناءين بثغر رشيد. (الأب / أب و ابن)	البدرى
١٦	المعلم عبد اللطيف بن أحمد بن محمد البدرى البنا بثغر رشيد.	
١٧	المعلم محمد بن حسن شرا البرلسي البنا بثغر رشيد. (الاثنان أخوة)	
١٨	المعلم على بن حسن شرا البرلسى البنا بثغر رشيد .	
١٩	المعلم شتا بن سيف الدين بن علاء الدين البرلسى البنا بثغر رشيد.	
٢٠	المعلم أحمد بن محمد المعروف بابن منيقر البرلسي البنا بثغر رشيد	

٢١	المعلم عطا الله بن منصور المدعو دويب البنا بثغر رشيد.	
٢٢	المعلم شحاته بن إبراهيم البرلسى البنا بثغر رشيد.	
٢٣	الحاج محمد بن محمد النسطويسى المعروف بالعسيلى البنا بثغر رشيد.	
٢٤	المعلم يوسف بن الحاج يوسف البناء بثغر رشيد.	
٢٥	المعلم أبو الخير بن عبد الكريم المعروف بابن لقيمة البناء بثغر رشيد.	
٢٦	المعلم يوسف بن أبو الخير بن عبد الكريم المعروف بابن لقيمة البناء بثغر رشيد.	

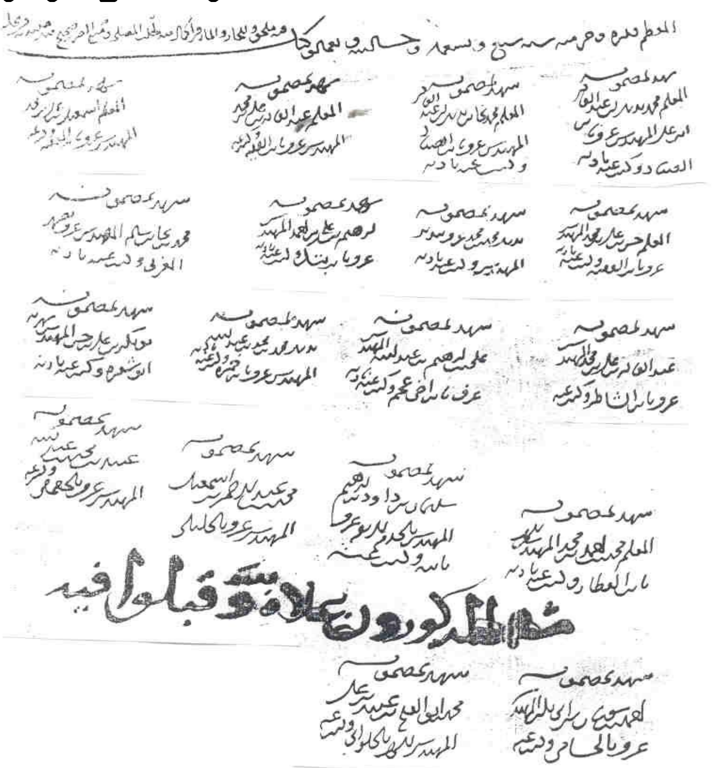
نتائج البحث

ألقت الدراسة الضوء على نظام الطوائف في مصر الإسلامية عامة وفى العصرين المملوكي والعثماني خاصة فأوضحت تكوينها وتنظيمها الداخلي أظهرت الدراسة دور طائفة المعمارية في حركة البناء والتشييد في العصرين المملوكي والعثماني وكشفت الدراسة عن التكوين المعماري لهذه الطائفة التي كان يترأسها كبير المعلمين أو معلم المعلمين أو رئيس المهندسين أو المعمار باشا. وألقت الدراسة الضوء على المهندس المعماري وطبيعة عمله وألقابه ودوره في تصميم العمائر وكشفت الدراسة أيضاً عن دور كل من شاد العمائر والبناء والحجار والطواب والآجرى والنحات والمرخم والنجار والفعله والرقاصين في مجال البناء والتشييد في العصرين المملوكي والعثماني. وكشفت الدراسة كذلك أسماء كثيرين من مهندسي مصر في هذين العصرين لم تكن معروفة من قبل ويكفى القول بأن إحدى الوثائق تضمنت توقيع ثمانية عشر مهندساً. كما قدمت الدراسة أدلة قوية على توريث الحرف بين أفراد الأسرة الواحدة، ولعل ما جاء في قائمة أسماء المهندسين ما يثبت ذلك. وأوضحت الدراسة كذلك أن توريث الحرفة بين أفراد الأسر كان أحد الأسباب التي حالت دون وجود مؤلفات عن الصنائع وأسرارها ودقائقها الفنية وما يجب إتباعه أو اجتنابه في كل منها حتى يكون المنتج الفني أو الصناعي جيداً ومتينا من ناحية وجميلاً من ناحية ثانية مما يجعله متوافقاً مع متطلبات الشرع الحنيف.

لوحة رقم (١)
هامش بالوثيقة ٥٢٢ جديد / أوقاف مؤرخة في ٢١ محرم ٩٠٠هـ به توقيع أربعة مهندسين .



لوحة رقم (٢)
هامش بالوثيقة ٤٣٦ جديد / أوقاف يتضمن توقيع مهندسين .



لوحة رقم (٣)
نهاية الوثيقة ٤٢٥ جديد / أوقاف المؤرخة في ٢٣ رمضان ٩٠٧هـ بها توقيع ثمانية عشر مهندساً .

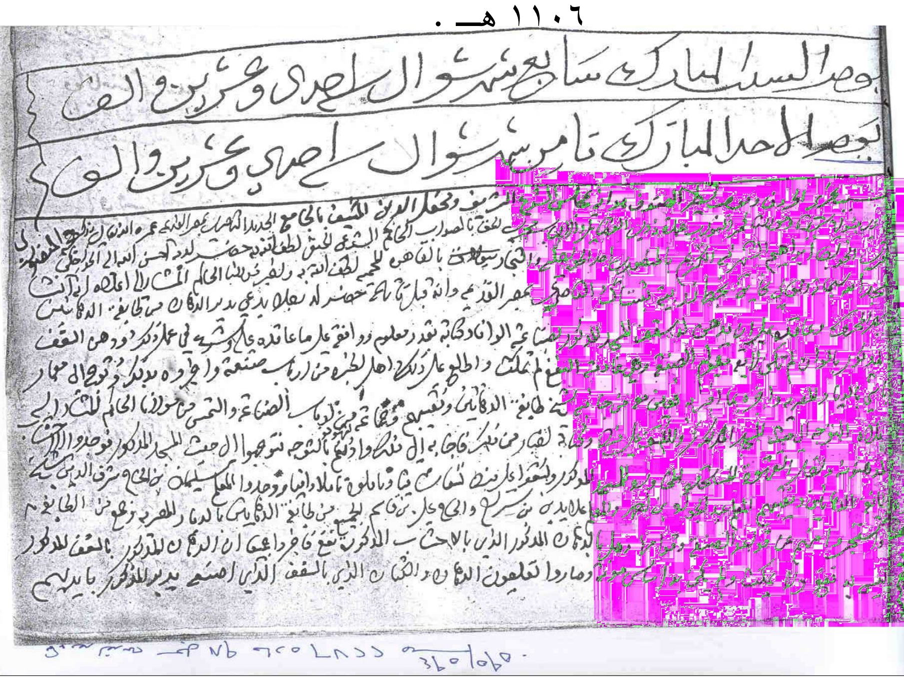
لوحة رقم (٤)
هامش بالوثيقة ٤٤٩ جديد / أوقاف المؤرخة في ١٩ محرم ٩٠٩هـ بها توقيع أثنين من المهندسين .

لوحة رقم (٥)
وثيقة من محكمة رشيد مؤرخة في ٢٧ جمادى الأولى ١١٣٥ هـ

لوحة رقم (٦)
وثيقة من محكمة رشيد مؤرخة في ٧ من جمادى الآخر ١١٣٥ هـ.

لوحة رقم (٧)

وثيقة من محكمة رشيد مؤرخة في ١٧ جمادى الآخر ١١٠٦ هـ .



يوم السبت المبارك سابع شهر شوال احدى وعشرين والف

يوم الاحد المبارك ثامن شهر شوال احدى وعشرين والف

لوحة رقم (٨)

وثيقة من محكمة مصر القديمة، سجل ٩٨ مادة ٢٢٧٦،ص ٥٩٤-٥٩٥ مؤرخة في ٨ شوال ١٠٢١هـ .

لوحة رقم (٩)
وثيقة من محكمة الباب العالي، سجل ٤٦ مادة ٢٩٧، ص
٥٣ .